

المتنبي

يوسف أحمد

١٣٥١

وحياته

بين نذالم وادليل

وطع مختار من شعر المتنبي

تأليف

أحمد سعيد البقراني

الطبعة الثانية

(ربيع الأول سنة ١٣٥٣ — يونيو سنة ١٩٣٤)

وقد أضاف إليها المؤلف بحثاً جديداً عن نبوة المتنبي أثبت فيه أن المتنبي لم يدع النبوة ولم يحبس من أجلها خلافاً لمن قال ذلك من المؤرخين

الثنى ٧

مطبعة حمادي

بالقاهرة تليفون رقم ٤٨٠ ٥٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسوله محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم

و بعد

فقد عرض لي أن أجمع أمثال أبي الطيب المتنبي شغفاً بها وخدمة لطلاب الأدب ، لأنها أسمى ما نطق به شاعر من الحكم الجليلة ، وأفضل ما يجب حفظه من قواعد الفضيحة ، لما اشتملت عليه من درر الحكمة الغوالي ، ومحكم الأمثال التي تعد عديمة المثل ، فلما فحمت ديوانه عنها ، رأيت أن المتنبي نفسه كان مثلاً ضربه التاريخ ليكون موعظة تضم إلى مواضع الدهر ، وأن حياته كانت موسوعة غرائب ، كما أن شعره كنز رغائب .

تأملت المتنبي من خلال شعره فوجدت شاعراً كبيراً لازمه حظ نكد وبائساً فقيراً يحمل آمالاً يضيق بها الفضاء ، وذا نفس يقول في الذود عنها فلا عبرت بي ساعة لاتعزني * ولا صحبتي مهجة تقبل الظلما (١)

وجدت رجلاً قضى حياته في حرب بين همته وحظه ، فكما حاول بهمته بلوغ قمة المجد ، دفعه حظه عنها إلى أبعد حد ، ثم لا يزال عنها يصد ، واليها يردد ، حتى أرغمته الأيام بعد ذلك على الرضاء بالخيبة .

وجدت رجلاً معدماً من المال ، مثرياً من الآمال ، ينظر الى رقة حاله ورثاة ظاهره فيقول للمغيث بن علي بلسان أمله :

فسرت نحوك لا ألوى على أحد * أحت راحتي الفقر والأدبا
أذاقني زمني بلوى شرقت بها * لو ذاقها لبكى ما عاش وانتحبا
ثم يلتفت الى نفسه ، فيتم الكلام بلسان أمله قائلاً :

وان عمرت جعلت الحرب والدة * والسهمري أخاً والمشرقي أباً (١)
بكل أشعث يلقي الموت مبتسماً * حتى كأن له في موته أرباً
موقناً أن همته ستصل به بعد حين إلى المحل اللائق بكرامته . ثم رأيت وقد
اشتد به الألم ، يقول مسلياً نفسه :

دون الحلاوة في الزمان مرارة * لا تختلي إلا على أهواله
وبعد ذلك وجدته يقول آسفاً :

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها * انى بما انا شك منه محسود
رأيت شاعراً مجيداً يمدح فيطنب . يقول في محمد بن زريق :

لو جادت الدنيا فدتك بأهلها * اوجاهدت كانت عليك حبيساً (٢)
وفي أبي عبادة بن علي :

لم أجز غاية فكري فيك في صفة * إلا رأيت مداها غاية الأبد
وفي الحسن بن اسحاق ويذكر بلده :

هي الغرض الأسمى ورؤيتك المنى * ومنزلك الدنيا وأنت الخلاق
وفي المغيث بن علي :

لقد حسنت بك الأيام حتى * كأنك في فم الزمن ابتسام

وفي عبد الواحد بن العباس :

قد خلف العباس غرَّتك ابنه * مرأى لنا والى القيامة مسمعا (٣)

ثم يتغالي فيقول في أبي العشائر ذا كراً فضل وجوده على الدهر :

انت فيه وكان كل زمان * يشتهي بعض ذا على الخلاق

وفي سعيد بن عبد الله :

قد شرف الله أرضاً أنت ساكنها * وشرف الناس إذ سواك انسانا

ثم لا يجد من هؤلاء وأمثالهم غير الجفاء فيخرج عنهم غير عائد

اليهم ويقول :

(١) السهمري - الرمح . المشرفي - السيف . الاشمث - الذي على وجهه غبار

(٢) حبيساً - اي وقفاً (٣) أي يابنه

صحبت ملوك الأرض مغتبطاً بهم * وفارقتهم ملآن من حنق صدرنا
عند ذلك وجدت انى فى حاجة إلى معرفة المتنبي من ناحيتى آلامه وآماله
لتكون مقدمة لمجموعة أمثاله التى هى ترجمان نفسه فى حالتى الألم والأمل
ولم يكن لدى من المراجع لهذا العمل المتعب غير ما وعاه صدرى من الأدب
والتاريخ ، ونسخة من ديوانه ، فكان ذلك عمدة فى ما أثبتته فى هذه المقدمة لأن
شعر المتنبي أصدق الوثائق عنه . ولست أدري أسبقنى أحد أولى الفضل إلى
فحص حياته عن هذه الناحية المخبأة أم لا ؟ فان كان ذلك فكثيراً ما تتفق
الخواطر على الأمر الواحد . وأما اذا كنت السابق اليه ، فلا عجب ، فان ديوان
المتنبي كمثل هذا الوجود : كلما تناولته يبحث جديد . وافاك بعلم مفيد .

ولكى يكون هذا السفر الصغير كبير الفائدة ، ألحقت به قطعاً مختارة من
الشعر المتنبي فأصبح بذلك ثلاثة أقسام :

الأول - حياة المتنبي بين الألم والأمل

الثانى - أمثال المتنبي

الثالث - قطع مختارة من شعر المتنبي

وأبرىء نفسى من أن أقصد الى الطعن فى مكانة المتنبي لأنى ممن يقدرونه
حق قدره سيما وانى بنيت كتابى على أمثاله التى أعدها من مصادر الحكمة العالية .
فطعنى فيه يكون طعناً فى اختيارى . ولكن بحثى عن ألمه الناشئ عن أمله هو
علة ما كتبت عنه ، وانى اذا قدست شعره وأنكرت شيئاً من أخلاقه فذلك تبعاً
لقوله فى أمثاله :

رب أمر أتاك لا تحمد الفعا * ل فيه وتحمد الأفعالا

والله حسبي ونعم الوكيل

احمد سعيد البغدادى

تقديم

المتنبى شاعر كبير من شعراء المائة الرابعة الهجرية واسمه أحمد بن الحسين وكنيته أبو الطيب ولقبه المتنبى وذكر اسمه في قوله من قصيدة جمعت بين جسم (أحمد) والسقم وبين الجفون والتسميد وذكر عبد الجليل بن وهبون الشاعر الأندلسي اسم أبيه في قوله حين سمع المعتمد بن عباد ملك قرطبة واشيلية يتمثل بشعر معجباً به فقال ارتجالاً:
لئن جاد شعر ابن (الحسين) فانما * بجود العطايا واللهى تفتح اللها (١)
تنباء عجباً بالقريض ولو درى * أنك تروى شعره لتأها (٢)
والمتنبى أحد أفاض الزمان وسيد شعراء عصره وأمام من جاء بعد وفيه يقول من أنصفه (٣)

مارأى الناس ثانى المتنبى * أى ثانٍ يرى لبكر الزمان
هو فى شعره نبىٌ ولكن * ظهرت معجزاته فى المعانى
مَوْلَاهُ

ولد فى الكوفة سنة ٣٠٣ هـ (٩١٥ م) من أبوين فقيرين فبالغ بهمته وعبقريته اسمى مراتب الشهرة وقد حققت الأيام ظنه . فيما قاله عن نفسه :
وما الدهر إلا من رواة قصائدى * إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدنا
فسار به من لايسير مشمراً * وغنى به من لا يغنى مغردا
فظوت ذكر كثير من عطاء الرجال وأبقت اسم المتنبى خالداً إلى صفحاتها

حياة المتنبى بين الأمل والأمل

ما استطعت أن اعرف المتنبى من هاتين الناحيتين إلا بعد أن قسمت حياته إلى أربعة أطوار .

١ اللهى بالضم العطايا واحدها لهوه - وبالفتح منتهى سقف الفم يريد أن العطايا تبعث على اجادة المدح
٢ القريض الشعر (٣) المظفر بن على الشاعر

الأول - طور بؤسه . وذلك من مولده الى أن لحق بسيف الدولة علي بن حمدان سنة ٣٣٧ هجرية (٩٤٨ م)

الثاني - طور سعته . وهو مدة اتصاله بسيف الدولة الى أن فارقه سنة ٣٤٦ (٩٥٧ م)

الثالث - طور رجائه . وهو مدة اتصاله بكافور الأخشيدي ملك مصر الى أن رحل عنه سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م)

الرابع - طور يأسه . وهو من وقت خروجه من مصر الى أن قتل سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م)

بؤس المتنبي وأسبابه

« استغرق البؤس الذي لزم المتنبي . زهرة شبابه . فانه ولد من أب فقير معدم يبيع الماء في الكوفة « سقا » وتعلم في المكتب ثم رحل به أبوه الى الشام لطلب العلم مع قلة ذات يده ثم مات أبوه وعدم المنفق . وفيه مدح الامراء وذاق لوعة الحسد والكيد من الوشاة ومرارة الجفاء والحرمان من الممدوحين فهجر مجالسهم وأخذ يتلمس الطريق التي يصل منها الى منزلة يستطيع عندها أن ينتقم لنفسه »
واليك بيان ذلك

ظهرت نجابة المتنبي وهو في المكتب (١) وصار يحفظ كل ما يسمع من شعر : أونثر : وقال الشعر قبل أن يحسن القراءة والكتابة ، ولما رأى أبوه ذلك منه كان له مثال الأب الحكيم فلم يكلفه احترام مهنته بل رحل به الى الشام فنلقى العلم والأدب عن علمائها ثم دخل البادية وأخذ لغة العرب عن فصحاءها فأصبح بذلك نابغة زمانه وجاد نظمه ونثره ، واشتهر بين الأدباء أمره ، فلما أحس من نفسه بأنه جاء بآيات ، البلاغة ، ومعجزات المعاني ، حدثته نفسه بأن ليس في هذا العالم مثله وان هذه الكائنات لاشيء اذا قيست به فقتال معجباً بنفسه :

(١) من ترجمته التي في ديوانه بتصرف كثير

أى محل ارتقى * أى عظيم اتقى
وكل ما خلق الله وما لم يخلق
محتقر فى همى * كشعرة فى مفرقى

وكان فى حدائته زعم انه علوى وجمع حوله شزيمة من العرب ينشدهم
شعره ويطالعهم على ما فى نفسه وكان سبباً للناس فوجد مبعضوه بذلك سيلاً
إلى كف أذاه فاخبروا الوالى بأنه يريد الخروج عليه فاعتقله وحبسه ثم
استتابه وأطلقه فزاده ذلك بغضاً للناس وعاد إلى البادية ليقيم فى بنى كلب
فأساؤا مشواه فهجرهم وهجاهم بقصيدته التى أولها :

كم قتيل كما قتلت شهيد * لبياض الطلى وحر الخدود (١)

وفىها يقول : مامقامى بأرض نخلة إلا * كمقام المسيح بين اليهود
ويقول :

أنا تراب الندى ورب القوافى * وسهام العدى وغيظ الحسود

أنا فى أمة تداركها الله * غريب كصالح فى ثمود

فقال كارهوه : قد ادعى النبوة . يغرون به الحاكم فلقب بالمتنبى من ثمة (٢) .

ثم أخذ يمدح الامراء والعظماء رغبة فى نيل جوائزهم فوجد شيئاً من العطف

عليه ثم انعكس ذلك العطف إلى كره وإبعاد . وأصبح إذا بش هذا فى وجهه

فى الصباح قطب له فى المساء وإذا ظفر بود أحداً انقلب الود بعد قليل الى جفاء

فرقت حاله وتكدر صفاء حياته وصار يتلمس للرزق بشعره شتى الوسائل

فلا يعود بطائل

ثم اشتد به البؤس بعد ذلك فقال يشكو سوء حظه وتقلبه فى البلاد

طلباً لرزقه بغير جدوى :

ضاق صدرى وطال فى طلب الرز * ق قيامى وقل عنه فعودى

ابداً أقطع البلاد ونجمى * فى نحوس وهمى فى سعوى

وقال لمن عجب لبؤسه ولامه على تقصيره فى السعى مع جودة شعره :

(١) نخلة من ديار بنى كلب (٢) ذكرت فى الطبعة الأولى أنه ادعى النبوة فلقب بالمتنبى والصحيح ما ذكر

هنا . انظر هذا الموضوع فى آخر الكتاب

ليس التعلل بالآمال من أربي * ولا القناعة بالاقبال من شيمي
ولا أظن بنات الدهر تتركني * حتى تسد عليها طرقها هممي
لم الليالي التي أخنت على جدتي * برقة الحال وأعذرتني ولا تلم
نظر المتنبي الى نفسه الكبيرة وما تجلى عليها من الآباء والشمم فقال البيت الأول.
ثم التفت الى الدهر يهدده بمقابلة الشر بالشر ويحذره نفسه فقال البيت الثاني .
ثم نظر إلى ظاهره ومخالفته لما يعجب الناس من حسن الهزة فقال البيت الثالث .
كأنه يقول فيه لمحدثه اني لأملك ظواهرى ولا سلطان لي على ما ينتابها من التغيير
فلا تلمني على شيء ليس أمره في يدي . ثم ذكر له بعد ذلك سبب رقة حاله فقال
أرى أناساً ومحصولى على غنم * وذكر جود ومحصولى على كلم
أى يسمع بالاجواد فيمدحهم فيعود غنيا بالوعد فقيراً من النقود . وقال
يصف كثرة تنقله وعدم استقراره في مكان وهو من أعظم مظاهر بؤسه :
ألفت ترحلى وجعلت أرضى * قتودى والغريرى الجلالا (١)
فما حاولت فى أرض مقاماً * ولا أزمعت عن أرض زوالا
على قلق كأن الريح تحتى * أوجهها جنوباً أو شمالا
وقال لسعيد بن عبد الله يشكو ما أصابه فى سبيل الوصول اليه وما لحقه من الألم رجاء
خيره : حتى وصلت بنفس مات أكثرها * وليتني عشت منها بالذى فضلا
أرجو نذاك ولا أخشى المطال به * يامن إذا وهب الدنيا فقد فعلا
وأصدق الشواهد على سدى ما بلغه من خيبة الأمل بشعره قوله يستنهض همته
ويحثها على طلب الرزق بغير الشعر وهو من أنفس القول فى الحوض على العمل :
الى كم ذا التخلف والتواني * وكم هدا التمادى فى التمادى
وشغل النفس عن طلب المعالى * يبيع الشعر فى سوق الكساد
وما ماضى الشباب بمسرد * ولا يوم يمر بمسعاد
وقوله ويدلك البيت الاول على أن ثيابه كانت بالية والثانى على أنه كاد
ينتحر من شدة البؤس

(١) القتود خشب الرحل والغريرى بعيره نسبة الى فحل كريم يسمى غريراً يريد انه لكثرة تنقله
جعل اقامته على ظهر بعيره والجلال الجليل

إلى أي حين أنت في زى محرم * وحتى متى في شقوة والى كم
والإتمت تحت السيوف مكرماً * تمت وتقاسى الذل غير مكرم
فنب واثقاً بالله وثبة ماجد * يرى الموت في الهيجا جنى النحل في الفم
فهذه الأبيات قالها المتنبي عن نفسه في طور بؤسه وهي تكفي لتمثيل حاله
فتريك نفساً عالية ، في ثياب بالية ، وشاعر أمجيداً ، أطرحة الناس بعيداً ، مع
انك لا تجد شعراً أبهج وأروع ، ولا قولاً أحكم وأجمع ، ولا مدحاً أبلغ وأمتع ،
ولا وصفاً أسهب وأبدع من شعره . وانك لتعجب حين ترى أن هذا الشعر
النفيس في تلك النفس الكبيرة كان سبب شقاء قائله وعلة آلامه في حياته وأنه
أخذ بناصيته بعد ذلك إلى حتفه . ولكن أتدرى ما السبب في ذلك ؟ فخصت
شعره عن العلة فيما أصابه فوجدت ذلك يرجع إلى أربعة أمور
أولها - أن المتنبي نشأ مبغضاً للناس جميعاً سىء الظن بهم
الثاني - انه كان شديد الكبرياء نفوراً بنفسه محقراً لما عداها
الثالث - انه كان إذا هجا أفحش في الهجاء
الرابع - انه كان اذا مدح أميراً عرض في مدحه بدم الناس جميعاً أو ذم
من مدحهم قبله

فهذه الخلال الأربع حملت الناس على البعد عنه والنفور منه وجعلته هدفاً
لسهام حساده . وحالت بينه وبين مراده . واليك بيانها

(١) كراهة المتنبي للناس

ظهرت هذه الغريزة في المتنبي وهو صبي في المكتب حين قال له رجل
ما أحسن هذه الوفرة لشعرات في رأسه فقال مرتجلاً
لا تحسن الوفرة حتى ترى * منشورة الضفرين يوم القتال
على قتي معتقل صعدة * يعلبها من كل وافي السبال (١)
فكان رأيه في الناس قبل أن يخالطهم . أن يكون في حرب ووفرتة منشورة
على كتفيه وفي يده رمح يطعن به من الناس كل ذي شاربين كبيرين

(١) الصعدة - الرمح القصير ويعاها - يعقها شيئاً فشيئاً والسبال - الشاربين

وإذا قرأت قوله عن نفسه

وقيل عدوت على العالمين * بين ولادى وبين القعود
أدركت أن الناس اتهموه بالعداوة لهم منذ طفولته وقالوا إن هذا الشاعر
ولد عدوًّا للعالم . وقد صدقوا في هذا الاتهام فإنه لما كبر أبان لهم رأيه فيهم بقوله
ودهر ناسه ناس صغار * وان كانت لهم جثث ضخام
وما أنا منهم والعيش فيهم * ولكن معدن الذهب الرغام (١)
أرانب غير أنهم ملوك * مفتحة عيونهم نيام
فدم الناس جميعاً سوى نفسه . وليست هذه الآيات قائمة بنفسها حتى يقال
إنه يفتخر أو يتألم بل يقولها في قصيدة يمدح بها المغيث بن علي وهو من أمراء
ذلك العصر فلما أراد الدخول إلى ذكر الممدح عاد إلى ذم الناس ثانية وأخرجه
من بينهم كما أخرج نفسه أولاً فقال

ولم أر مثل جيرانى ومثلى * لمثلى عند مثلهم مقام
بأرض ما اشتبهت رأيت فيها * فليس يفوتها إلا الكرام
بها الجبلان من صخر ونخر * أنافا ذا المغيث وذا اللكام (٢)
وليست من مواطنه ولكن * يمر بها كما مر الغمام
ويقول فيهم زاعماً أنه أكلهم تجربة إذا كان غيره قد ذاقهم فقط :
إذا ما الناس جربهم لبيب * فاني قد أكلتهم وذاقا
فلم أر ودّهم إلا خداعاً * ولم أر دينهم إلا نفاقاً (٣)
ثم يقول مستليحاً أهلاً بهم :

ومن عرف الأيام معرقتى بها * وبالناس روى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم إذا ظفروا به * ولا في الردى الجارى عليهم بأثم
يريد أن من يقتل هؤلاء الناس بلا رحمة لا يعد ظالماً ، لأنهم إذا ظفروا به
قتلوه بلا رحمة أيضاً . فاذا بدأهم هو بذلك فلا إثم عليه البتة

(١) الرغام - التراب يقول : أنا لست منهم واقامتى بينهم كالذهب الذى يوجد مختلطاً بالتراب
(٢) يقول إن هذه البلاد فيها كل شيء إلا الكرام (أنافا) ارتفاعاً واللكام جبل عظيم فى الشام يمر
بجهاً وينتهى عند انطاكية . (٣) دينهم أى عاداتهم (النفاق)

ثم قال واصفاً تفاوتهم في النقائص :

أذم الى هذا الزمان أهيله * فاعلمهم فدم . وأحزمهم وغد (١)
وأكرمهم كلب . وأبصرهم عم * وأسهدهم فهد . وأشجعهم قرد
ومن نكد الدنيا على الحرّ ان يرى * عدواً له ما من صداقته بد
يقول هذا في قصيدة يمدح بها أميراً يسمى على بن سيار فدم الناس جميعاً لم
يستثن منهم أحداً حتى ولا الممدوح وعدّ صداقته لهم من نكد الدنيا .
ولعمري أن الممدوح لو مدح في هذه القصيدة بألف بيت لما غيرت فكره
بأنه هو المقصود في قوله : « عدواً له ما من صداقته بد »

فهذا رأى المتنبي في الناس وهذه عقيدته التي ينشرها بينهم ويذكرها مفصلة
في قصائده التي يمدح بها ملوكهم وهي أقطع الأدلة على بغضه لهم وأقوى
أسباب بغضهم له

٢ - كبرياؤه ونخره بنفسه

اشتهر المتنبي بالكبرياء في جميع حياته ووصف نفسه بأوصاف تدل على
شدة كبريائه فمن ذلك قوله :

أنا الذي بين الآله به الأقدار والمرء حيثما جعله
جوهرة تفرح الشراف بها * وغصة لا تسيغها السفلة (٢)
يدعى أن الله أعطاه قوة في القول فهو يصف الناس بما فيهم فيظهر مقدار
كل منهم « يبرر بذلك ذمهم » وانه لا يقول فيهم الا الحق .
وقوله معجباً بنفسه :

إن أكن معجباً فعجب عجب * لم يجد فوق نفسه من مزيد

(١) القدم التي في منطقة ثقل ، الوغد الخسيس من الناس ، أسهدهم أكثرهم سهداً ، الفهد
حيوان كثير النوم ، القرد مشهور بشدة الخوف ويقصد المتنبي بذلك التهمك عليهم .

(٢) الشراف : الاشراف

أنا ترب الندى ورب القوافي * وسهام العدى وكيد الحسود (١)
أنا في أمة تداركها الله غريباً كصالح في ثمود
يقول إن أكن معجباً بنفسى فأنا جدير بذلك لأنى لم أجد فوقها نفساً . ثم
بين في البيت الثانى منازلها فى العالم وفى البيت الثالث سأل الله أن يهدى الأمة
الى الصواب فتعرف قدره وتؤمن برفعته عليها .

وقوله :

أنا صخرة الوادى اذا ما زوحت * واذا نطقت فانى الجوزاء (٢)
أى لا يجسر أحد على مزاحمته لصلابته واذا تكلم فكلامه أمر لا يرد
وقوله :

إن ترمى نكبات الدهر عن كشب * ترمى امرء غير رعديد ولا نكس
يريد أنه لا يبالى بالمصائب بل يقابلها بهمة تبدها . وحسبك من هذا
الباب قوله :

أعط عنك تشبهي بمن وكأنه * فما أحد فوقى ولا أحد مثلى
أى لا تقل ما أشبه المتنبى بفلان أو كأنه فلان فليس فوقى أحد بل ليس
مثلى أحد . وقد مر بك قوله : « أى محل أرتقى »
فهذه الأقوال تدل على مدى كبريائه وتمهد العذر لأعدائه وانى أرى أنه
ما كان يلتقى على أحد سلاماً ولا يرد السلام على أحد تكبراً وقد لامه
بعض أصحابه على ذلك فقال يعتذر :

أنا عاتب لتعتبك * متعجب لتعجبك
اذ كنت حين لقيتنى * متوجعاً لتغيبك
فشغلت عن رد السلام * وكان شغلى عنك بك

(١) تر به أى ولد معه ، الندى ، الكرم ، القوافى ، الشعر ، والسهام . السم ، تداركها الله . دعاء ،
ثمود . قوم صالح عليه السلام . ويقال ان الناس لما سمعوا هذا البيت قالوا (تنبأ) للاغراء به فلقب بالمتنبى
من ثمة

(٢) الجوزاء : أحد البروج . عن كشب : عن قرب . والرعديد : الجبان والنكس الذى لاخير فيه

وهذا عذر أظنه لا ينطلي على أحد .
فهذه مظاهر كبرياء المتنبي وهي لا تجعل له في الناس محباً

٣ - فحشه في الهجاء

يعجب الباحث في أخلاق المتنبي حين يراه مع علو نفسه وترفعه عن كثير من النقائص يفحش في هجائه فيطعن في الانساب ويقذف المحصنات ثم لا يجد لذلك من باعث غير سوء ظنه بالناس وشدة بغضه لهم . وبما أن كتابي هذا لا يتناول المتنبي من هذه الناحية . فأنا أكتفي بإيراد أمثلة قليلة من هجائه تأييداً للسبب في نفور الناس منه .

فمن ذلك قوله في صباه بهجو القاضي الذهبي :

لما انتسبت فكنت ابناً لغير أب (١) * ثم اختبرت فلم ترجع الى أدب
سميت بالذهبيّ اليوم تسمية * مشتقة من ذهاب العقل لا الذهب
ملقب بك ما لقت ويك به * يا أيها اللقب الملقى على اللقب

فمثل هذا القذف المر تنفر منه نفس الحر

وقال في قصيدة يمدح بها بدر بن عمار معرضاً بمن زعم أنه وشى به إليه :
وانه المشير عليّ فيك بضلة * فالحر ممتحن بأولاد الزنا (٢)

ومثل هذه الألفاظ لا تليق برجل تدنيه الملوك من مجالسهم وينشد شعره بين أيديهم

وهجا اسحاق بن كيغلف على غير ذنب سوى أنه أعترضه أثناء سيره
بالقرب من أرضه ويطلب منه أن ينزل عنده ليمدحه فاعتذر المتنبي فلما فارقه
هجاه بقصيدة مدح بها أبا العشائر وعرض في الهجاء بأهل اسحاق تعريضاً
لا يحسن ذكره لما اشتمل عليه من فحش القول وإنما أذكر لك ما قاله في
هجاء اسحاق نفسه وهو :

(١) أي من سفاح

(٢) أنه : فعل أمر (بضلة) أي يقول في صفني غير صواب

وجفونه ما تستقر كأنها * مطروقة أو فت فيها حصرم (١)
وإذا أشار محدثاً نكاته * قرد يقفه أو عجوز تلطم
وتراه اصغر ما تراه ناطقاً * ويكون الكذب ما يكون ويقسم
وهذه القصيدة إذا جردت من الهجاء كانت من أنفس الشعر فإنها جمعت
فرائد الأمثال كقوله فيها :

لو كان يمكنى سفرت عن الصبا * فالشيب من قبل الأوان تلثم (٢)

ولقد رأيت الحادثات فلم أر * يققاً يميت ولا سواداً يعصم (٣)

والهم يخسرم الجسم نحافة * ويشيب ناصية الصبي ويهرم

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله * وأخو الجهالة في الشقاء منعهم

والناس قد نبذوا الحفاظ فطلق * ينسى الذي يولى وآخر يندم (٤)

لا يخذعك من عدو دمه * وارحم شبابك من عدو ترجم

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى * حتى يراق على جوانبه الدم

يؤذى القليل من اللئام بطبعه * من لا يقل كما يقل ويلوم

والظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم

ومن البلية جهل من لا يرعوى * عن غيبه وخطاب من لا يفهم

والذل يظهر في الذليل مودة * واود منه لمن يود الأرقم

ومن العداوة ما ينالك نفعه * ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

فانظر إلى هذه الدرر الفريدة كيف نظمها مع الخرز في سلك واحد -

واعجب من ذلك أن إسحق هذا قتله غلمانة فلم يكتب المتنبى بموته بل هجاه

ميتاً وهذا من أسوء ما جاء به . وإني أذكرك قوله فيه لخلوه من الفحش مع شدة

إغراقه في الهجاء :

(١) الحصرم . العنب قبل أن ينضج وهو كثير الحوضنة

(٢) أي أن الشيب غطي وجه شبابه

(٣) اليق : الابيض أي أن الشيب لا يسبب الموت والشعر الاسود لا يعصم منه

(٤) الحفاظ . المحافظة على الحقوق أي أن الناس تركوا ما يجب عليهم نحو بعضهم

قالوا لنا مات اسحق فقلت لهم * هذا الدواء الذي يشفي من الحمق (١)
ان مات مات بلا فقد ولا أسف * أو عاش عاش بلا خلق ولا خلق
منه تعلم عبد شق هامته * خون الصديق ودس الغدر في الملق (٢)
وحلف الف يمين غير صادقة * مطرودة ككعوب الريح في نسق (٣)
مازلت أعرفه قرداً بلا ذنب * خلوا من البأس مملوءاً من النزق (٤)
كريشة في مهب الريح ساقطة * لا تستقر على حال من القلق (٥)
تستغرق الكف فوديه ومنكبه * فتكتسى منه ریح الجورب العرق (٦)
فسائلوا قاتليه كيف مات لهم * موتاً من الضرب أو موتاً من الفرق (٧)
وأين موقع حد السيف من شبح * بغير جسم ولا رأس ولا عنق
لولا اللئام وشيء من مشابهة * لكان الأم طفل لف في خرق (٨)
هذه أمثلة من هجاء المتنبى قبل اتصاله بسيف الدولة فلما اتصل به خفت
وطأة لسانه لا تساع نعمته في صحبته وبعد أن فارقه هجأه كافرأ بعد مدحه وهجا
ضبة العيني و عرض بأمه بقول كان سبباً لقتله كما ستراه في طور يأسه

٤ - ذم المتنبى من يمدحهم عند مدح غيرهم

هذه عادة لم يأت المتنبى بأغرب منها ولم أرها لشاعر غيره وقد لزمته
طيلة حياته في جميع قصائده فما مدح أحداً إلا وفضله على جميع الناس وتفنن
في هذا المعنى تفنناً عجيباً وقد بينت لك جميع ما رأيت له من هذا النوع لتطلع
على قدرة هذا الشاعر وكيف يصوغ المعنى الواحد في مظاهر كثيرة
قال في قصيدة مدح بها محمد بن عبد الله الخطيب معرضاً بدم الناس وملوكمهم:

(١) الحق الجهل (٢) يقول أن العبد الذي قتله تعلم الحياة منه (٣) كعب الريح ، بين العقدتين (٤) النزق

الحفة والطيش

(٥) القلق الاضطراب (٦) أى أنه إذا صفع أحاطت الكف بجانبى رأسه مع كتفيه لانه لاعنق له وتعود من

لمسه برائحة ننتة (٧) الفرق الخوف (٨) يقول لولا وجود لئام كثيرين غيره يشبهونه لكان الأم الناس

وانما نحن في جيل سواسية * شر على الحر من سقم على بدن (١)
حولى بكل مكان منهم خالق * تخطى اذا قلت في استفهامها بمن
ولا اعاشر من املا كههم ملكا * الا احق بضرب الرأس من وثن
فانت ترى أنه لم يستثن أحدا من الدم
ثم قال في الحسن بن عبيد الله :

كريم لفظت الناس لما بلغت * كأنهم ما جف من زاد قادم (٢)
وكان سرورى لا يفي بندامتى * على تركه فى عمرى المتقادم
فأفرد الممدوح وذم الناس ومنهم ممدوحه الا اول طبعاً
ثم قال فى على بن أحمد وكان شاعراً وعالمياً :

دعاني اليك العلم والحلم والحجا * وهذا الكلام النظم والنائل النثر (٣)
وما قلت من شعري تكاد بيوته * اذا كتبت يبيض من نورها الحبر
وجنبتى قرب السلاطين مقتها * وما يقتضيني من جماجمها النسر
فمدحه وذم ملوك زمانه وجعل عذره لبعده عنهم ان النسر تطالبه
برؤوسهم وهو لا يقدر على ذلك الآن ،
ثم قال فى على بن ابراهيم التنوخى :

أشرت أبا الحسين بمدح قوم * نزلت بهم فسرت بغير زاد
وظنوني مدحتهم قديماً * وأنت بما مدحتهم مرادى
يقول انه كان فرحاً بمدح من مدحتهم قبله ولكن خرج من عندهم بغير
زاد وانه لم يكن مادحاً لهم فى الواقع بل كان هو المقصود
ثم قال فى عبد الله بن يحيى :

بمن أضرب الامثال ثم أقيسه * اليك وأهل الدهر دونك والدهر
وفى أبى عبادة :-

لما وزنتك بالدنيا فملت بها * وبالورى قل عندى كثرة العدد

(١) الجيل الناس : سواسية متشابهون ولا تستفهم عنهم بمن هذا لانها خاصه بالعاقل وهم ليسوا كذلك
(٢) أى فضلة مابقى من الخبز مع القادم من النسر (٣) الحجا العقل والنائل العطاء

وفي بدر بن عمار :

ومثلك يابدر لا يكون ولا * تصلح الا لمثلك الدول
وفيه مكرراً هذا المعنى أيضا :

سبقت السابقين فلا تجارى * وجاوزت القلوب فلا تعالى
وأقسم لو صلحت يمين شيء * لما صلح الأنام له شمالا
ثم قال في علي بن منصور :

أمهجن الكرماء والمذرى بهم * وتروك كل كريم قوم عاتبا
شادوا مناقبهم وشدت مناقباً * وجدت مناقبهم بمن مثالبا
وقال في عبد الواحد الكاتب ففضله على الملوك وغيرهم :

وزارك بي دون الملوك تخرج * اذا عن بحر لم يجز لي التيمم (١)

فعمش لو فدى المملوك ربا بنفسه * من الناس لم تفقد وفي الارض مسلم
فجعله سيداً للناس جميعاً وقال لو صح أن يفدى المملوك سيده بنفسه لظل
المسلمون يقدونه بأنفسهم جيلاً بعد جيل حتى لا يبقى على ظهر الأرض منهم
أحد وهذا من غرائب المدح ، وقال في أبي الفرج القاضى :

قصدتك والراجون قصدى اليهم * كثير ولكن ليس كالذنب الأنف
ولا الفضة البيضاء والتبر واحد * نفوعان للمكدي وبينهما صرف (٢)
ثم تعالى بعد ذلك فقال في أبي شجاع محمد :

أمر يد مثل محمد في عصرنا * لا تبلنا بطلاب مالا يلحق

لم يخلق الرحمن مثل محمد * أحداً وظنى انه لا يخلق

وفي علي بن احمد الطائي :

ألا كل سمح غيرك اليوم باطل * وكل مديح في سواك مضيع

ولا ثوب مجد غير ثوب ابن احمد * على أحد الأبلؤم مرقع

ثم قال في جعفر بن كيغلاغ :

(١) زارك أى زرتك — وعن . ظهر

(٢) التبر الذهب والمكدي المحتاج وصرف أى فضل يريد كلاهما نافع غير أن الذهب أكثر نفعا كذلك أنت

لى من الذين يرومون ذهاب اليهم

من قال لست بخير الناس كلهم * فجعله بك عند الناس عاذره
أوشك أنك فرد في زمانهم * بلا نظير في روحى أخطاره

ثم قال في المساور بن احمد :

ان القريض شج بعطفي عائد * من أن يكون سواءك الممدوح
وفي أحمد بن عمران

ذكر الانام لنا فكان قصيدة * كنت البديع الفرد من أبياتها

— وفي علي بن عساكر :

أرى الناس الظلام وأنت نور * واني منهم لأليك عاش

— وفي طاهر بن الحسين العلوى وخرج فيه عن حد الذوق :

ويحذى عرانيين الملوك وانها * لفي قدميه فى اجل المراتب

هذه هى سنته فى مدح أمراء عصره وهى لا تجعل لهم ثقة بمدحه وان

محافظة على هذه الخطة الغربية تدفعنى الى الظن بانه كان اذا أراد مدح أمير وقف

حائراً بين كبريائه وفاقته ، تلك تأمره ان لا يمدح احداً من هذا العالم لانهم

دونه منزلة ، وهذه تغريه بمدح الاكابر ليحصل منهم على رزقه ؛ فيوفق بين

طلبيهما بان يثنى على الممدوح مداراة لفاقه ويذم ما عداه ارضاء لكبريائه .

وقد رأيت له فى هذا الباب اعجاب مما تقدم برأيته شق عليه تفضيل الممدوح

وحده على الناس كلهم وهو داخل فى مجموعهم فأشرك نفسه مع ممدوحه فقال

فى علي بن سيار :

ألوم به من لامننى فى وداده * وحق لخير الخلق من خيره الود

فجعل نفسه وممدوحه خير الخلائق .

وقال فى ابى العشائر :

شاعر المجد خدنه شاعر اللفظ . كلانا رب المعانى الدقاق

ولأخال مثل هذا المدح خطر يبال شاعر قبله ولا احسب حساده لدى ابى

العشائر تمسكوا منه باكثر من هذا البيت وظنى بهم وقد قالوا للأمير بأى

شيء مدحك هذا المستجدي بشعره حين سواك بنفسه؟ فكان ذلك سبب جفائه له .
وانظر الى ادب الشريف الرضى . فى مثل هذا حين عاتب الامام القادر
العباسى قائلاً :

عظفاً أمير المؤمنين فاننا * فى ساحة العلياء لا تتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت * أبداً كلانا فى المعالى معرق
إلا الخلافة ميزتك فانى * انا عاقل منها وأنت مطوق
فاعترف له بأن الخلافة ميزته عنه ، ومع أنهما أبناء عم فقد غضب الإمام
وقال له ، على رغم أنف الشريف .

وأحسن ما للمتنبى فى هذا الباب قوله فى سيف الدولة :
لا تطلبن كرمياً بعد رؤيته * ان الكرام بأسماهم يداً ختموا
ولا تبالى بشعر بعد شاعره * قد أفسد القول حتى أحمد الصمم
فقد جعله أكرم الكرام وجعل نفسه أشعر الشعراء وفى هذا لا عتب
عليه البتة .

ومما يدعوا إلى العجب ان هذه العادة لزمته حتى آخر أيامه ، فقد قال فى سيف
الدولة وهو من أبدع المعانى :

رأيتك فى الذين أرى ملوكاً * كأنك مستقيم فى محال (١)
فان تفق الأنام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال
وقال فيه من قصيدة أخرى وهو أغرب ما صدر من شاعر :
إن كان مثلك كان أو هو كائن * فبرئت حينئذ من الاسلام
ومع هذا كله فانه لما بلغ كافور أقال فيه بعد وصف الركائب التى حملته اليه
قواصد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا
فجاءت بنا إنسان عين زمانه * وخلصت بياضاً خلفها وما أقيا (٢)
فلما تركه قال فى حاكم شيراز وهى آخر قصيدة قالها

(١) يريد موجوداً فى معدوم (٢) جعله سواد عين الزمان وما عداه من الملوك بياضاً .

وَمَنْ أَعْتَاضَ عَنْكَ إِذَا اقْتَرَقْنَا * وَكُلَّ النَّاسَ زَوْراً مَا عَدَاكَ
حَيِّياً مِنْ إلهي أَنْ يراني * وَقَدْ فَارَقْتَ دَارَكَ وَأَصْطَفَاكَ

فهذه الوثائق القيمة تبين لك السبب في جفاء الممدوحين للمتنبى .
وقد ظهر لي أيضاً من قص آثاره أنه كان إذا فارق أميراً بعد مدحه لم يعد إليه ثانية
حتى أن سيف الدولة الذي طالبت صحبته معه بعد أن فارقه واتصل بكافور
ثم هجره وعاد إلى العراق دعا المتنبى مراراً فلم يرحل إليه بل صار يمدحه عن
بعد واعتذر مرة عن الرحيل إليه بقوله :

وما عاقني غير قول الوشاة * وإن الوشايات طرق الكذب

وتكثير قومٍ وتقليلهم * وتقريبهم بيننا والخيب (١)

يقول أخاف من الوشاة الذين حولك أن يكثروا من معايبي وأن يقللوا

من فضائلي عندك ساعين بيننا بافساد ظنك بي .

ولا يبعد أن يكون السبب في عدم رجوعه إلى الممدوحين هو خوفه

منهم أن يقتلوه لما سبق له من التعريض بدمهم عند مدح غيرهم، وربما كان

ما حمله على هذا الخوف ما لقيه من أبي العشائر، فإنه حين فارقه أرسل وراءه غلماناً

ليقتلوه فرماه أحدهم بسهم فأخطأه وقال خذهُ وأنا غلام أبي العشائر،

فقال المتنبى مرتجلاً وهو من محاسن قوله، ويدل على أنه خرج من عند

أبي العشائر كارهاً :

ومنتسبٍ عندي إلى من أحبه * وللنبيل حولي من يديه حفيف (٢)

فهبج من شوقي وما عن مذلة * حننت ولكنَّ الكريم ألوف

وكل وداد لا يدوم على الأذى * دوام ودادى للحسين ضعيف

فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً * فأفعاله اللائي سررن ألوف

ونفسى له نفسى الفداء لنفسه * ولكنَّ بعض المالكين عنيف

فإن كان يبغى قتلها يك قاتلاً * بكفيه فالقتل الشريف شريف

(١) التقريب والخيب : نوعان من أنواع السير

(٢) الحفيف : صوت السهم عند انطلاقه من القوس

وفي هذه المناسبة أذكر حادثة وقعت للعكوك الشاعر وهو على بن جبلة نقلها الرواة وذكرها صاحب عصر المأمون وهي أنه مدح أبا دلف أحد قواد المأمون بقصيدة قال فيها :

إنما الدنيا أبودلف * بين يديه ومحتضره

فاذا ولي أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

فبلغ قوله هذا حميداً بن عبد الحميد وكان ممن يمدحهم العكوك ويأخذ

جوائزهم ، فقال له ماذا أبقيت لنا بعد هذا ؟ فاضطر لأن يقول ارضاء له

إنما الدنيا حميد * وأياديه الجسم

فاذا ولي حميد * فعلى الدنيا السلام

ولكن أين هذا من ذلك . وإني لأظنه ذاب خجلاً من هذا العتاب .

وقيل إن المأمون سمع بهذه القصة فقال لست لأبي ان لم أقطع لسانه أو أهدر

دمه ، وانت ترى أن خطأ العكوك أقل بكثير مما جاء به المتنبي فلا غرابة

إذا فيما لقيه المتنبي بسبب خطته هذه التي مكنت حساده من نفسه فصغروا

شأنه وأوصدوا دونه سبيل الراحة وصمدوا للاغراء به وأبانوا للممدوحين

تعريضه بدمهم واتخذوا من ذلك سهماً أحكموا رمايتها فأصابت قلب آماله ،

حتى حرموه ثمار هذا الشعر البديع وحصروه في نفسه إلى أن صار يظن أن

كل ماعده يطلب أذاه .

ويدلك على مدى ما أصابه في ذلك قوله متضجراً من الحساد كارهاً الحياة

من أجلهم :

وما ليلٌ بأطول من نهار * يظن باحفظ حسادي مشوبا (١)

وما موتٌ بأغض من حياة * أرى لهم معي فيها نصيباً

وقوله وهو يرى أنهم يريدون سوته :

ولو أني حسدت على نفيس * لجدت به لدى الجد العثور (٢)

ولكني حسدت على حياتي * وما خير الحياة بلا سرور

(١) أي يخالط هذا النهار نظري إلى حسادي (٢) يريد : البأس

وصار يحسب أنه لا يخلو مكان من عدو له أو حاسد ، فأصبح إذا زار صديقاً خفف المكث عنده خشية وجود واش يكدر صفاء عيشه وصرح بذلك في زيارته لعل بن احمد المرى فانه لم يطل المكث عنده فسأله عن السبب فقال :

لا تنكرن رحيلي عنك في عجل * فاني لرحيلي غير مختار
وربما فارق الأنسان مهجته * يوم الوغى غير قال خشية العار (١)
وقد بليت بحسادٍ أحر بهم * فاجعل نداءك عليهم بعض أنصاري
والذي دهشت منه أن المتنبى لم يفكر في سبب كره الناس له ، ليزيل ما بينه وبينهم من
العداء ، بل صار يفكر فيما يصنعه فيهم حتى يثار لنفسه منهم وقد توسع في التفكير
حتى وهم بأنه سيكون يوماً ما ملكاً كهؤلاء الملوك فيحاربهم ويفعل ما يعجزون
عنه ، ثم قوى عنده هذا الخيال حتى ظن أن ذلك لا محالة واقع وزادني دهشة
أنه كان مؤمناً بهذا الوهم وجهر به للناس فقال مهدداً من مدحهم من قصيدة
يمدح بها محمد بن عبد الله الخطيب قاضي انطاكية :

لله حال أرجيها وتخالفني * وأقتضى كونه دهرى ويمطلني
مدحت قوماً وإن عشنا نظمت لهم * قصائد آمن إناث الخيل والحصن (٣)
تحت العجاج قوافيها مضمرة * اذا تنوشدن لم يخطرن في أذن (٤)
فلا أحراب مدفوعاً الى جدر * ولا أصالح مغروراً على دخن (٥)
يزعم أنه ستنظم لهم قصائد أخرى غير التي مدحهم بها أبياتها كرائم الخيل
فينخضعهم (ثم يكون هو الذي يملئ شروط الصلح)
وقال من قصيدة يمدح بها علي بن سيار :

(١) الوغى - الحرب وقال - كاره. يعني أن الانسان ربما عرض نفسه للقتل في الحرب غير كاره للحياة بل خشية عار الفرار من الزحف
(٢) اقتضى كونها أي أطلبه بها (٣) الحصن بضمين جمع حصان (٤) العجاج غبار الحرب ومضمرة معدة السباق (٥) يريد أن لا ينتظر حتى يفاجئه العدو فيحاربه في أرضه ولا يصالح صلحاً غير شريف (والدخن الفساد)

سأطلب حـقى بالقنا ومشايخ * كأنهم من طول ما التثمو وأمر د (١)
ثقال إذا لا قوا خفافاً إذا دعوا * كثير إذا اشتدوا قليل إذا عدوا (٢)
يقول هذا وهو لا يملك غير نفسه ولكن خياله أوحى إليه بأنه سيكون
له جيش هذه صفة أبطاله فلما أعياه الصبر قال :

سيصحب النصل منى مثل مضر به * وينجلي خبرى عن صمة الصمم (٣)

لقد تصبرت حتى لات مصطبر * فالآن أقحم حتى لات مقتحم (٤)

لأتركن وجوه الخيل ساهمة * والحرب أقوم من ساق على قدم (٥)

ويقول فى هذه القصيدة متعجباً من بقاء السيادة لغيره:

أيملك الملك والاسياف ظامئة * والطير جائعة لحم على وضم (١)

من لو رآنى ماء مات من ظمأ * ولو عرضت له فى النوم لم ينم

ميعاد كل رقيق الشفرتين غداً * ومن عصى من ملوك العرب والعجم (٧)

ولكن بقى مكانه لم يتقدم فقال يبنى نفسه بأن يوم النصر آت لا ريب فيه .

ولا بد من يوم أغر محجل * يطول استماعى بعده للنو ادب (٨)

ولم يقف به خياله عند هذه الأمنية بل عرض لعينيه جميع بلاد العرب ومناه

بها كلها فقال من قصيدة يمدح بها على بن احمد المرى :

ضاق ذرعاً بأن اضيق به ذر * عازمانى واستكرمتنى الكرام (٩)

(١) القنا - الرماح ويريد بالمشايخ الابطال المديرين (٢) يصفهم بالثبات عند

اللقاء واجابة الداعى (٣) النصل، السيف - ومضر به حده والصمة. الشجاع، يقول

سيظهر لكم انى أشجع الشجعان (٤) لات . من الحروف المشبهة بليس : أى

صبرت حتى فرغ صبرى والآن اقتحم كل صعب (٥) ساهمة متغيرة من آثار المعمة

(٦) يقول : أيملك الملك من هو كالاجم الملقى على خشبة الجزار والسيوف عطشى

لتقطيعه والطير جائعة لانه كله؟ (٧) رقيق الشفرتين السيف (٨) الاغر المحجل الفرس

الذى بين عينه وفى قوائمه بياض يريد أن هذا اليوم سيكون مميزاً بكثرة القتلى ويستمر

ندب النادبات طويلاً بعده (٩) ضاق ذرعاً كناية عن قصر اليد والعجز عن الطلب

واقفاً تحت اخمصى قدر نفسى * واقفاً تحت اخمصى الأنام (١)

أقرراً ألدُّ فوق شرارٍ * ومراماً أبغى وظلمى يرام (٢)

دون أن يشرق الحجاز ونجد * والعراقان بالقنا والشام (٣)

هكذا كانت آمال المتنبي تحول بينه وبين مسالمة الناس تمنيه بأنه سيكون ملكاً على جميع بلاد العرب . فلا حاجة له بالتودد الى الناس ويصرح بهذه الامنية في مدح الأمراء وتتناقلها الألسنة وتسير بها الركبان ، وكلما زادت شيوعاً بين الناس زادوا في هجره وقد انتهى هذا الطور من حياته وهو اعجز ما يكون عن بلوغ شيء مما اراد ؛ ثم لحق بسيف الدولة على بن عبدالله بن حمدان العدوى سنة ٣٣٧ هجرية ومدحه وطالت صحبته معه فاغناه عن الاتصال بسواه

القسم الثانى من حياة المتنبي

« طور سعته »

لا شك فى أن الأيام التى قضاها المتنبي فى صحبة سيف الدولة كانت أسعد أيام حياته . فقد كان فى رغد من العيش وسعة من الرزق ونعم لم يحظ بمثله من قبل ولم ير بعدها فاقه لأن سيف الدولة أجزل له العطاء . وحباه من الخير ما صرفه عن التحول إلى سواه . وتظهر لك حاله واضحة فى قوله حين أراد الخروج إلى الضيعة التى أقطعه إياها فى معرة النعمان وهو :

أياراسياً يصبى فؤاد مرامه * تربي عداه ريشها لسهامه (٤)

أسير إلى اقطاعه فى ثيابه * على طرفه من داره بحسامه (٥)

وما مطرتيه من البيض والقنا * وروم العبدىها طالات غمامه (٦)

(١) يقول انى واقف تحت اقدام نفسى وجميع الناس تحت قدمى (٢) استفهام انكارى يقول كيف يلدلى القرار فوق النار (٣) يشرق يعص ، يريد أن هذه الاماكن سوف تعص من كثرة رماح جيشه (٤) يصبى يصيب المقتل والمراد بريشها لسهامه . امواها غنيمته (٥) اقطاعه الارض التى اقطعه اياها والطرف بكسر الطاء الفرس الكريم (٦) العبدى العبيد

فتى يهب الاقليم بالمال والقرى * وامن فيه من فرسانه وكرامه
ويجعل ماخولته من نواله * جزاء لما خولته من كلامه (١)
فلا زالت الشمس التي في سمائه * مطالعة الشمس التي في لثامه
ولا زال تجتاز البدور بوجهه * فتعجب من نقصانها وتمامه
ففيها يعترف بأنه أصبح ذا أرض ودارٍ وسلاح وعبيد وقد أنساه هذا
اليسر « طبعاً » ما كان يضمه من الشر للناس حتى أنه التمس لحساده العذر
على ما هو فيه من النعم فقال في قصيدة مدح بها سيف الدولة :
وللحساد عذر أن يشحوا * على نظري إليه وأن يذوبوا (٢)
فاني قد وصلت إلى مكان * عليه تحسد الحدق القلوب
ولم تعاوده خواطره الأولى مدة صحبته له إلا مرةً واحدةً فقال في قصيدة
يمدحه بها :

أهمُّ بشيءٍ والليالي كأنها * تطاردني عن كونه وأطارد
وحيد من الخلان في كل بلدة * إذا عظم المطلوب قل المساعد
ثم أخذ يتفنن في مدح سيف الدولة فوصف جيوشه وحرابه ونصره بما
ستراه في المختار من شعره .

ولكن بينما هو في بحبوحه من السرور ، فوجيء بنكيدٍ لم يكن في حسابانه .
وظهر له من حاشية سيف الدولة أعداء ، ومن الشعراء حساد ، ومن العلماء
نقاد ، واستمع سيف الدولة أقوالهم فيه واستطاعوا أن يغيروا ما في نفسه
عليه حتى لاده مرةً على ما فيه من كبرياء وتيه فقال المتنبي يمدحه ويذكر ذلك :
أفي كل يوم تحت ضنبي شويعرٌ * ضعيف يقاويني قصير يطاول (٣)

(١) خوله الشيء ملكه اياه (٢) كان المتنبي يخال ان جميع الناس حساده حتى لقد
سمى ابنه محسداً « على وزن محمد »

(٣) تحت ضنبي أي تحت إبطي : شويعر تصغير شاعر للتحقير وكان يعاصر المتنبي

لساني بنطقي صامت منه عادل * وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل
وما التيه طي فيهم غير أنني * بغيض إلى الجاهل المتعاقل (١)
وأكبر تيهي أنني بك واثق * وأكثر مالي أنني لك آمل
ثم زاد الجفاء بينهما فاضطر المتنبي لعتاب سيف الدولة فقال قصيدته المشهورة
التي مطلعها:

واحر قلباه من قلبه شيم * ومن بحالي وسقمى عنده سقم (٢)
وفيها يقول لسيف الدولة:

يا عدل الناس إلا في معاملتي * فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
أعيذها نظرات منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع أخى الدنيا بناظره * إذا استوت عنده الأنوار والظلم
وفيها يعاتبه:

يامن يعز علينا أن نفارقهم * وجداننا كل شيء بعدكم عدم
ما كان أخلقنا منكم بتكرمة * لو أن أمركم من أمرنا أمم (٣)
ان كان سرّكم ما قال حاسدنا * فما لجرح إذا أرضاكم ألم
وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة * ان المعارف في أهل النهي ذمم
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم * ويكره الله ما تأتون والكرم
ثم عرض فيها بأنه سيفارقه الى غيره بقوله:

أرى النوى يقتضيني كل مرحلة * لا تستقل بها الوخادة الرسم (٤)
لئن تركن ضميراً عن ميامنا * ليحدثن لمن ودعتهم ندم

من الشعراء السري الموصلى والنامى والبيغاء والواو وغيرهم كحمد بن هاشم واخيه
سعيد وابن نباتة السعدي وكلهم يمدحون سيف الدولة ويأخذون جوائزهم (١) التيه
الكبر - طي شأني (٢) ماء شيم - بارد (٣) أمم - قريب

(٤) الوخادة الرسم - الناقة السريعة التي تترك اخفافها أثراً في الارض كأنها تحدث
فيها رسماً (٥) ضمير - جبل عن طريق الراحل من حلب الى الشام ، يريد أنه إذا
سار بجوار هذا الجبل قاصداً الشام فإن سيف الدولة يندم

إذا ترحلت عن قومٍ وقد قدروا * ان لا تفارقهم فالراحلون هم
وختمها بقوله :

بأى لفظٍ تقول الشعر زعنفة * تجوز عندك لا عرب ولا عجم (١)

هَذَا عتابك إلا أنه مِقَّةٌ * قد ضمن الدر إلا أنه كلم (٢)

وهذه القصيدة من أبداع ما قيل في العتاب مع كبرياء العاتب وعلو مكانة
المعاتب . وقد غضب سيف الدولة منه بسببها وأهمله مدة فاستعطفه
المتنبى بقوله :

ألا ما لسيف الدولة اليوم غاضباً * فداه الورى أمضى السيوف مضاربا

ومالى إذا ما اشتقت أبصرت دونه * تنائف لا أشتاقها وسبابا (٣)

وقد كان يدنى مجلسى من سمائه * أحادث فيها بدرها والكواكبا

حنانيك مسئولاً وليك داعياً * وحسبى مو هو با وحسبك واهبا (٤)

أهدا جزاء الصدق إن كنت صادقاً * أهدا جزاء الكذب إن كنت كاذبا

وإن كان ذنبى كل ذنب فانه * محاذ الذنب كل المحو من جاء تائباً

فرضى عنه . ولكن نفس المتنبى التى عرفها لم تقبل أن يكون هو التائب

فأمسك مدة عن مدح سيف الدولة فى أوقات كان لا يقصر عنه

فى مثلها عند ذلك سأله سيف الدولة عن السبب فقال مصرحاً بما يضمه من

ناحيته مع شىء من التلطف :

أرى ذلك القرب صار ازورارا * وصار طويل الكلام اختصارا

تركتنى اليوم فى خجلة * أموت مراراً وأحيا مرارا

أسارقك اللحظ مستحياً * وأزجر فى الخيل مهرى سرارا (٥)

وأعلم أنى إذا ما اعتذر * تإليك أراد اعتذارى اعتذرا

(١) الزعنفة — الأوباش (٢) مقة — محبة (٣) التنائف جمع تنوفة وهى

المفازة الواسعة التى لا ماء فيها والسباب الفلوات (٤) حنانيك . استعطف

(٥) أى أمشى فى عسكريك مستتراً حياء منك

كفرت مكارمك الباهرات * إذا كان ذلك منى اختياراً
ولكن حمى الشعر الا القليل * هم حمى النوم إلا غراراً (١)
وما أنا أسقمت جسمي به * ولا أنا أضربت في القلب ناراً
فلا تلزمني ذنوب الزمان * إلى أساء وإيأى ضاراً (٢)
فابتسم سيف الدولة . وعاد المتنبي إلى مدحه . ولكن بقي في النفس شيء
كامن حتى وقعت حادثة المتنبي مع ابن خالويه النحوي في مجلس سيف الدولة
فأهاجه المتنبي فضربه ابن خالويه بمفتاح كان في يده فشججه ولم ينتصر له سيف
الدولة فغضب ورحل عنه إلى دمشق وكان ذلك سنة (٣٤٦) ثم اتصل بالأستاذ
كافور الاخشيد ملك مصر فابتدأ طور رجائه (٣)

القسم الثالث من حياة المتنبي « طور رجائه »

« سميت مدة اتصال المتنبي بالاستاذ كافور طور رجائه لانه كان في أيام هذا
الطور راجياً منه أن يحقق أملاً لزمه في جميع مامر من حياته وهو أن يجعله والياً
على إحدى إمارات ملكه »
لما قصد المتنبي كافوراً عادت إليه تلك الآمال التي خبت نارها مدة اتصاله
بسيف الدولة ولم يبق عنده شك في أن كافوراً سيجعله عاملاً له على إحدى
ولايات الشام فيصير ملكاً قوياً قادراً على تنفيذ أمنيته التي صرح بها
في قوله :

« مدحت قوماً وإن عشنا نظمت لهم » الخ

وقوله — « سأطلب حتى بالقنا ومشايخ »

(١) الغرار - النوم القليل (٢) أي جابلي هذا الضرر (٣) كان كافور من عبيد
الاخشيد صاحب مصر وارتقى إلى قيادة الجيش ثم تقلد الوزارة لولديه محمود وعلى
من بعده ، وبعد موتهمما بقيت مصر بلا أمير أياماً ثم بويع كافور ويشمل حكمه
مصر والشام والحجاز ، وذلك في أيام الخليفة المطيع لله العباسي ومات سنة ٣٥٧
هجريه بعد المتنبي بثلاث سنين .

وغير ذلك مما قرأته له في طور بؤسه فلما دخل مصر عرض بطلبه في أول قصيدة مدح بها كافور ، ثم استمر يكرر الطلب ويلح على الاستاذ ليبادر به حتى آخر شعر قاله فيه .

ففي أول قصيدة افتتح بها مديحه . ذكر طلبه تلميحاً فقال :

أبالمسك ذا الوجه الذي كنت تائقاً * إليه وذا اليوم الذي كنت راجياً (١)

إذا كسب الناس المعالي بالندی * فانك تعطى في نذاك المعاليا (٢)

وغير كثير أن يزورك راجل * فيرجع ملكاً للعراقين واليا (٣)

يقول له ليس بكثير أن يزورك مثلي سعيّاً على قدميه فيرجع من عندك ملكاً للعراقين « وهما الكوفة والبصرة » ولم يكونا من املاك كافور بل كانتا للخليفة العباسي وإنما ذكرهما المتنبي ليريه أن ساطانه يمتد إليهما . يغريه بذلك ؛ وكان يأمل أن يكون جواب كافور له قد وليتك . ولكنه ابتسم وأمر له بدار ومال . فأمله مدة ثم قال له في قصيدة أخرى يشرح له نفسيته ليجعله على بينة من أمره :

يارجاء العيون في كل أرض * لم يكن غير أن أراك رجائ

ولقد أفنت المفاوز خيل * قبل أن نلتقي وزادى ومائ

فارم بي ما أردت منى فاني * أسد القلب آدمى الرواء

وفؤادى من الملوك وإن كا * ن لسانى يرى من الشعراء

يقول له انافى النظر إنسان ولى قلب أسد وفؤاد ملك ولسان شاعر . فلم

يعبأ كافور بهذه الأوصاف ، فقال له من أخرى متملقاً ومداهناً :

قالوا هجرت اليه الغيث قلت لهم * إلى غيوث يديه والشايب (٤)

الى الذى تهب الدولات راحته * ولا يمن على آثار موهوب

(١) أبالمسك كنية كافور وتائقاً مشتاقاً

(٢) الندى . الجود (٣) الراجل الذى يسافر ماشياً (٤) الشايب . دفعات

يريد بالغيث سيف الدولة . ويقول إنه تركه وجاء إلى من يعطى الممالك
ولا يمن عليها ، فابتسم له كافور وسكت عن طلبه فقال له من أخرى متذلاً
ومعرضاً بأن يجرّ به ليشق من جدارته بما يريد :

- فان نلت ما أملت منك فر بما * شربت بماء يعجز الطير ورده (١)
- فكن في اصطناعي محسناً كجرب * بين لك تقريب الجواد وشده (٢)
- إذا كنت في شك من السيف فابله * فاما تنفيه واما تعده (٣)
- وما رغبتى في عسجد أستفيده * وليكنها في مفخر أستجده (٤)

فكرر له كافور تلك الابتسامة فضجر المتنبى وقال له من أخرى يستحته

على انجاز الأمر

- أبا المسك أرجو منك نصراً على العدى * وآمل عزا يخضب البيض بالدم (٥)
- ويوماً يغيظ الحاسدين وحالة * أقيم الشقا منها مقام التنعم
- قد اخترتك الاملاك فاختر لهم بنا * حديثاً وقد حكمت رأيك فاحكم (٦)
- ولو كنت أدري كم حياتي قسمتها * وصيرت ثلثيها انتظارك فاعلم

فلم يجد من كافور إلا تغاضياً فظن أنه لم يفقه ما أراد فقال له مصرحاً :

- أبا المسك هل في الكأس فضل أناله * فاني أغنى منذ حين وتشرب
- وهبت على مقدار كفى زماننا * ونفسي على مقدار كفيك تطلب
- إذا لم تنط بي ضيعةً أو ولايةً * فيجودك يكسوني وشغلك يسلب (٧)
- فابتسم وهز له رأسه . فظن أن ذلك وعد منه ، فقال له من أخرى متملقاً :

وان تأخر عنى بعض موعده * فما تأخر آمالي ولا تهن (٨)

-
- (١) ورود الماء . اتيانه للشرب والأخذ منه (٢) التقريب والشد - نوعان من جري الخيل : والجواد - الفرس (٣) اباه - جربه ، تنفيه تلقيه بعيداً : وتعدده - تجعله عدتك للقتال (٤) العسجد - الذهب : استجده . أى أجده (٥) البيض - السيوف (٦) اخترتك الاملاك - أى اخترتك من الملوك - (٧) تنط - تعاق ، ومراده تعطيني (٨) تأخر - أى تتأخر : وتهن تضعف

هو الوفي ولكنى ذكرت له * مودة فهو يسلوها ويمتحن (١)
فلم يغن تملقه في كافور شيئاً . فقال له من أخرى ، وهي آخر شعر مدحه
به ولم يلقه بعدها :

أرى لى بقربى منك عيناً قريرة * وان كان قرباً بالبعاد يشاب (٢)
وهل نافعى أن ترفع الحجب بيننا * ودون الذى أملت منك حجاب
وفي النفس حاجاتٌ وفيك فطانه * سكوتى بيان عندها وخطاب
وما شئت إلا أن أدل عواذلى * على أن رأيت فى هواك صواب
واعلم قوماً خالفونى وشرقوا * وغربت أنى قد ظفرت وخابوا
فلم يزد كافور على ابتسامته التى كان يقابله بها شيئاً . عند ذلك انقطع
أمل المتنبى وتمكن اليأس من نفسه . وخفت غلوائه ، وخبّت نار همته ،
وتبين له أن سعيه ذهب سدّى فترك مصر ، وعاد إلى العراق ، وانتهى
بذلك طور رجائه .

وهنا تتوق النفس إلى جلاء امرين هامين أولهما . معرفة السبب الذى
حمل كافوراً على حرمان المتنبى مما ألح فى طلبه مع أنه أمرٌ لا يهمل كافوراً
لسعة ملكه وكثرة ولاياته وولالاته . الثانى - هل أخطأ كافور فى حرمان
المتنبى من توليته إمارة بعض النواحي وأوضاع الانتفاع بعبقريته وهمته أم
أصاب فى ذلك وأن المتنبى لا يصلح لتوليه الإمارة ؟

مرتضى هذا الخاطر فرجعت إلى ديوانه أتلس الحل لهدين اللغزين فبان
لى أن المتنبى نفسه هو الذى حمل كافوراً على سوء الظن باخلاصه كما تبين لى
انه لا يصلح لأن يكون أميراً ولما فى هذا البحث من اللذة رأيت أن أثبته
كاملاً قبل الكلام على طور يأسه فأقول :

كيف شك كافور فى إخلاص المتنبى ؟

(١) يبلوها ويمتحن أى يجربها ويختبرنى (٣) يشاب - يمزج أى قرب

بلا عطف

لما ظهر المتنبي زادت شهرته . وبلغت كافوراً افتاقت نفسه إلى سماع مدح هذا الشاعر العظيم فيه . فاستدعاه بعد أن فارق سيف الدولة فرحل إليه وكان ظن كافور (طبعاً) أن هذا الشاعر يمدحه ويقدمه عنده ماشاء ويأخذ جوائز ثم يعود إلى بلاده شاكرًا ، أو تطيب له الإقامة في مصر فيبقى شاعره مادام حياً ، ولذلك أعد له داراً وغمره بالخير واستقبل مدحه . ولكن ماذا فعل المتنبي ؟

فاجأ المتنبي كافوراً بامر ين ما كانا يخطر ان له على بال . وأمر ثالث أدهى وأمر
الأمر الأول

كان المتنبي يفتتح أكثر قصائده التي يمدح بها كافوراً بذكر سيف الدولة والشوق إليه وأسفه على فراقه وقد يعثر فينم بها كافوراً وناهيك عن تشاؤم كافور منه عند أول قصيدة افتتح بها مدحه . وليس الاستاذ كافور بالرجل الهين الذي تمر به الحادثات عفواً ، بل هو الرجل الذي نهض بهمة وذكائه من بين الخدم حتى قاد جيش الاخشيذ ، ثم جلس على عرش مصر ، ومثله لا تنطلي عليه مداهنة المتنبي ، ولا يهزأ مدحه المحصور بين شوق إلى سيف الدولة ، وإلحاح بطلب أمر لا تسمح به الملوك إلا لمن يعتقدون إخلاصه لهم وتفانيه في خدمتهم .

أما القصيدة التي تشاءم منها كافور فهي قول المتنبي :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً * وحسب المنايا ان يكن أمانياً

تمنيها لما تمنيت أن ترى * صديقاً فأعيا أو عدواً مداجياً

بهذا المطلع افتتح المتنبي مدح كافور ينشده وعين الممدوح شاخصة إليه ، وقد احاطت به رجال دولته يستمعون مدح الشاعر الشهير للملكهم الجليل فيقول له حسبك الداء الذي لا يشفيك منه غير الموت وإنك تمنيت هذا الموت حين لم تجد صديقاً مخلصاً ولا عدواً يستر عدواته .

انظر كيف جعل فراق سيف الدولة داءً ولقاء كافور موتاً يستشفى به من ذلك الداء . ولعمري لقد أحسن كافور بالمتنبي ووسعه حلماً إذ لم يردده على عقبيه إلى الشام بعد هذه القصيدة

وقد كنت اعجب لاختيار المتنبي هذا المطلع ولكني لما بحثت عن سببه عرفت أن ألمه لفراق سيف الدولة سبق أمله في كافور فأملى عليه ما قال
وانك لتدرك حزن المتنبي على فراق سيف الدولة كامناً في كل بيت من ديباجة هذه القصيدة تحت ستار من السلوان فقد قال فيها مخاطباً قلبه :

حبيتك قلبي قبل حبك من نأى * وقد كان غداراً فكن أنت وافيًا (١)

وأعلم أن البين يشكيك بعده * فلست فؤادي إن رأيتك شاكيًا (٢)

فان دموع العين غدر بربها * إذا كن إثر الغادرين جواريا (٣)

أقل اشتياقاً أيها القلب ربما * رأيتك تصفى الود من ليس صافيا

خلقت أوفاً لورجعت إلى الصبا * لفارقت شيبى موجع القلب باكيًا

فانظر إلى هذا الأسف الشديد في قالب السلو والهجر - يقول لقلبه : أحبيتك

يا قلبي قبل أن تحب سيف الدولة ، وهو قد غدر بي فلا تغدر بي أنت وتبقى

على مودته . وإني لأشك في أن بعده سيحملك على الشكوى والشوق إليه ، فان

فعلت ذلك فأنا براء منك : وأنت يادموعى إذا جريت شوقاً إليه كان ذلك

منك غداراً بي : ثم أظهر شديد توجعه بقوله : « خلقت أوفاً » فلو قدر لي

فراق هذا الشيب الذى أمقته ، لفارقت باكيًا على صحبته . فكيف لا أبكى على

صحبة سيف الدولة ؟ ثم خرج بعد هذا كله إلى مدح كافور . ولا شك أن كافوراً

تشاءم من المطلع ، وتأفف من ذكر الشوق إلى سيف الدولة ، ثم سخر من

طلب المتنبي بعد ذلك .

وقال في ديباجة قصيدة أخرى :

أود من الايام ما لا توده وأشكو إليها بيننا وهى جنده

(١) نأى - بعد (٢) يشكيك - يحملك على الشكوى (٣) غدر جميع غدور

(٣ - أمثال المتنبي)

يباعدن حباً يجتمعن وصله * فكيف يحب يجتمعن وصدده
أباخلق الدنيا حبياً تديمه * فما طلبي منها حبياً ترده (١)

يقول : أريد من الأيام أن تجمعني بمن أحب ، وهي لا تريد ذلك وأشكو
إليها فراقنا ؛ وهي التي تنفذ مراده فينا . ومن أخلاقها أنها لا تبقى معي حبياً
فكيف أطلب منها أن ترد لي حبياً أبعدته : وبعيد أن يكون مراده في ذلك
غير سيف الدولة . وهيهات أن يسمع كافر مثل هذا ثم تستريح نفسه إليه .
ويقول لكافور من أخرى وقد أهدى إليه فرساً فتذكر عطايا سيف
الدولة من الخيل المطهمة العتاق :

فراقٌ ومن فارقت غير مذمم * وأمٌ ومن يمتت خير ميمم (٢)
وما منزل اللذات عندي بمنزل * إذا لم أجعل عنده وأكرم
رحلت فكم بك بأجفان شادن * عليّ وكم بك بأجفان ضيغم (٣)
وماربة القرط المليح مكانه * بأجزع من رب الحسام المصمم (٤)

فلو كان ماني من حبيب مقنع * عذرت ولكن من حبيب معمم
رمي واثق رمي ومن دون ما اتقى * هوى كاسر كفى وقوسى وأسهمى
إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه لقول عداته * وأصبح في ليل من الشك مظلم

يقول : فارقت سيف الدولة ؛ وهو غير مذموم ، وقصدت كافوراً وهو
خير مقصود ؛ وقد رحلت عن فارقته فبكى عليّ النساء والرجال ولو كان
هذا الشوق على حبيب ذى قناع عذرت ولكن على حبيب يلبس
العمامة « وهو سيف الدولة لاشك » ويقول : رماني وهو واثق بأن محبته
تقيه لساني . ثم يعاتب نفسه ويذكر أن العداوة بينهما نشأت من سماعهما

(١) الحب بكسر الحاء - الحبيب (٢) مذمم - مذموم (٣) الشادن - الغزال ،
والضيغم - الاسد (٤) أى الحسناء ذات (الحاق) والشجاع ذو الصمصامة
وهي السيف القصير

لقول العداة ولا أدري كيف استطاع انشاد هذه القصيدة في حضرة كافور
وحسبها من مدائح فيه .

ويقول في مدح كافور من أخرى ذا كراً سيف الدولة :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب

وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

أما تغلط الايام في بأن أرى * بغيضاً تنأى أوحياً تقرب

ولله سـيرى ما أقل تئية * عشية شرقي الحدالي وغرب (١)

عشية أحفى الناس بي من جفوته * وأهدى الطريقين التي أتجنب (٢)

يقول لسيف الدولة : أغالب عليك شوقى فيغلبنى . أما هذه الايام أن تغلط

فتبعدنى من أكره وتقرب منى من أحب . يقول هذا وهو فى مجلس كافور ،

وليس أحد أقرب إليه منه . ثم يأسف على سيره فى الشام بين مكان يسمى

الحدالى وجبل يسمى غرب حينما كان أكثر الناس حفاوة به من جفاه وهو

سيف الدولة ، وأهدى الطريقين التي تجنبها وهي التي توصله إلى سيف الدولة

وطبعاً سلك اضدهما وهي الطريق التي أوصلته الى كافور . وقد ذم كافوراً فى

هذه الايات كما ترى ثم انتقل بعدها الى مدحه - وأنا لا أشك فى أن المتنبي كان

يعتقد فى كافور أنه لا يدرك ما يقوله فيه ويدلك على ذلك قوله فى ذمه بعد فراقه

ولولا فضول الناس جئتك مادحاً * بما كنت فى سرى به لك هاجياً

فأصبحت مسروراً بما أنا منشد * وإن كان بالانشاد هجوك غالباً

أى لولا من حولك يفهمونك بأنى أهجوك لهجوتك فى انشادى وكان ذلك

يسرك لأنك لا تميز بين المدح والهجاء

وأذكر أن ابن خلكان ذكر فى ترجمة المتنبي انه قال : كنت اذا أنشدت كافوراً

ابتسم لى حتى قلت

(١) التئية - التوقف عن السير ، الحدالى - موضع بالشام ، غرب . جبل - أى

مأسرع سيرى بين هذين المسكنين . (٢) أحفى - مبالغة فى الحفاوة وهي الاكرام

والملاطفة .

ولما صار ود الناس خبياً * جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن أصطفيه * لعلى أنه بعض الأنام
فلم أره ابتسم بعدها حتى افترقنا . وهذا يدل على عكس ما فهمه المتنبي فيه

الامر الثاني

الحاح المتنبي الشديد على كافور ان يجعله أميراً على احدى ولايات ملكه
مكرراً طلبه في جميع القصائد التي مدحه بها كما رأيت في طور رجائه

الامر الثالث

كان المتنبي يحتقر كافوراً . وقد هجاه قبل ان ينقطع امله منه وكان يهجو
بين الناس ثم يدخل عليه فيمدحه أما بعد قطع امله فلم يذمه الا في أربع قصائد
الأولى : عند خروجه من مصر في قوله

« عيدُ بأية حال عدت يا عيد »

والثانية : لما بلغ الكوفة ووصف بها طريقه من مصر اليها وأولها
« ألا كل ماشية الخيزلي »

والثالثة بعد ذلك وأولها

(قطعت بسيرى كل بهماء مفرع) (١)

والرابعة وأولها

(افيقا خمرا لهم بغضنى الخمر)

ونظمهما بمدينة واسط ووجدت مسوداتهما في رحلة بعد قتله

ولا شك أن كافوراً كانت له عيون تراقب المتنبي وأذانٌ تسمع ما يقوله

فيه فتبلغه اليه وكافور كان يغض الطرف عن عقابه لأنه من الشعراء مكتتفاً
بعقاب الحرمان وحسرة الخيبة

وهذه الأسباب هي التي حملت كافوراً على الشك في اخلاص المتنبي له

وكانت سبب حرمانه مما اراد

(١) البهائم المفازة التي لاماء فيها ومفرع مخيفه

الامر الثاني

هل كان المتنبي أهلاً للولاية أم لا ؟
إن المتنبي يرى أن المجد لا ينال بالتمنى ، بل لا بد للحصول عليه من
وسائل يتصف بها طالبه ، وقد ذكرها مفصلة في قصيدة مدح بها عليّ بن ابراهيم
وهي قوله :

من طلب المجد فليكن كعلي * يهب الألف وهو يتسم
ويطعن الخيل كل نافذة * ليس له من وحاتها ألم (١)
ويعرف الأمر قبل موقعه * فما له بعد فعله ندم
والامر والنهي والسلاهب والبيض له والعييد والحشم (٢)
والسطوات التي سمعت بها * تكاد منها الجبال تنقصم
يرعيك سمعاً فيه استماع إلى الدا * عى وفيه عن الخناصم
في هذه الأبيات يحتم المتنبي على طالب المجد « السيادة والملك » أن يتصف
بخصال سبع :

أولها - الجود ؛ وذلك ليلتف الناس حوله ابتغاء خيره .
ثانيها - الشجاعة ؛ ليؤلف قوة من طالبي رفته يقاتل بها أعداءه .
ثالثها - الحزم ؛ حتى لا يفعل ما يوجب ندمه .
رابعها - العصية ؛ ليكون في قوة من قومه يناصرونه ويشدون أزره .
خامسها - الجرأة ؛ لأن اقتحامه عظام الأمور يملأ القلوب من هيئته ومحبتة
سادسها - النجدة ؛ لتكثر صنائعه وأياديه على الناس فيفقدونه بانفسهم .
سابعها - العفة ؛ لأن الدناءة تضعف هيئته ، وتسقط مروءته ، كما أن
استماعه للوشاية يوسع الطريق للفسدين فيكثر بذلك الناقدون عليه .
ويقول ان ممدوحه اتصف بها جميعها فهو سيد بحق . والمتنبي نفسه طلب

(١) الوحاء - السرعة أي من سرعة نفاذ الطعنة في العدو لا يشعر بالمها حتى يقع قتيلاً
(٢) السلاهب - الخيل واحدها ساهب والبيض - السيوف ، والحشم - الاتباع

السيادة وأقنى حياته بين الأمل والرجاء ، فهل اجتمعت فيه هذه السجايا ؟ نحن لانطالبه باكثر مما اشترط .

بحثت عنها في شعره فلم أجده في اكثرها نصيباً وإليك الدليل :

أولاً

- هل كان المتنبي جواداً كريماً ؟

وصف المتنبي نفسه بالعلم ، والفصاحة ، والشجاعة كقوله :

إذا صلت لم أترك مصالاً لفاتك * وإن قلت لم أترك مقالاً لعالم
وقوله :

مانال أهل الجاهلية كلهم * شعري ولا سمعت بسحري بابل
وقد مرتبك كثيرٌ من قوله عن نفسه في الكلام على بؤسه . ولكنه لم
يصفها بالكرم إلاّ عرضاً في بيتين قالهما وهو في أشد أيامه بؤساً وحينما
كان يبحث عن رزقه فيعجزه .

أحدهما قوله :

كفاني الدم أنى رجلٌ * أكرم مالٍ ملكته الكرم
والثاني قوله :

« أنا ترب الندى » ورب القوافي * وسام العدى وكيد الحسود

وهما على ما فيهما من مخالفة الواقع لأنهما صدرا منه وقت أن كان يقول :

لم الليالى التي أخنت على جدتي * برقة الحال واعذرني ولا تلم

فقد هشمهما بيت لوقاله ، وموائده ممدودة على قارعة الطريق لعدّ بخيلا

وهو قوله :

وربما أشهد الطعام معي * من لا يساوى الخبز الذى أكله

وذلك لأن الكريم يأنف من ذكر الطعام ، وكان الحجاج يقول

لجاسائه : « جنبوا مجالسنا ذكر الطعام ، فانى أكره الرجل أن يكون وصافاً

لبطنه » وإنما يفتخر عادةً بذلك البخلاء ، وقد عرض المتنبي بذكر الطعام

أيضاً في هجاء كافور بقوله :

جوعان يأكل من زادي ويمسكني * كيما يقال عظيم القدر مقصود
وبقوله :

لو كان ذا الأكل أزوادنا * ضيفاً لأوسعناه إحساناً
ومحال أن يأكل كافور ملك مصر من زاد المتنبى « ضيفه » وإنما لبخل
المتنبى كان يستعظم أمر الطعام فيذكره افتخاراً وتبكيتاً . ومن هذا تعلم
أن المتنبى لم يكن من الأجواد .

ثانياً

هل كان المتنبى شجاعاً سميدعاً ؟
وصف المتنبى نفسه بالشجاعة في كثير من شعره ، وكانت عماد نخره
كقوله لمن حذره عاقبة تهوره :

أمثلي تأخذ النكبات منه * ويجزع من ملاقاته الحمام
ولو برز الزمان إلى شخصاً * لحفف شعر مفرقه حسامى
ولا بلغت مشيئتها الليالى * ولا سارت وفي يدها زمامى
إذا ملئت عيون الخيل منى * فويل فى التيقظ والمنام
وكنت أردت أن أتخذ من قوله دليلاً على شجاعته فوجدت فى شعره
ما يخرج من مصاف الأبطال الذين ينطبق عليهم وصفه لنفسه وها أنا أذكر
لك أربعة مواقف له جبن فيها كلها :

الأول : سأله سيف الدولة أن يصحبه فى حرب ينصر بها أخاه فاعتذر
بشوقه إلى العيال وقال من قصيدة مدحه بها :

ان الذى خلّفت خلفى ضائع * مالى على قلقي عليه خيار
وإذا صحبت فكل ماء مشرب * لولا العيال وكل أرض دار
اذن الأمير بأن أعود إليهم * صلة تسير بذكرها الأشعار
وهذا الاعتذار تأباه نفس الشجاع الباسل .

وقدر أيت من أمره أن أكثر وقائع سيف الدولة كانت توصف له فكان لذكائه
المفرط يصفها كأنه خاض المعركة ، ولم يذكر عنه أنه خاض حرباً قابلي فيها .

الثانى : أنه سمع فى بعض أسفاره فى البادية زئير أسد ، وكان ذلك ليلاً ، فى مكان يسمى الفرديس ، فقال يصف موقفه شاكئاً فى مصيره :

اجارك يا أسد الفرديس مكرم * فتسكن نفس أم مهان فمسلم
ورائى وقدامى عداة كثيرة * أحاذر من لصٍّ ومنك ومنهم

ولم اسمع بأن الشجاع يخاف من الأسد ، وقدر أيتله أن بدر بن عمار خرج الى أسد فهرب منه ، ثم صادف أسداً آخر يأكل من بقرة افترسها فهاجه عنها فوثب الأسد الى كفل فرسه فأعجله عن استلال السيف فضر به بدر بالسوط فهوى فقال المتنبي فى قصيدة يمدحه بها :

أمعفر الليث الهزبر بسوطه * لمن ادخرت الصارم المصقولا
فهذه هى عادة الأبطال مع الاسود ، فكيف نعد المتنبي شجاعاً وهو يخاف من الأسد ومن اللص ايضاً .

الثالث — أنه كتب للأمير وهو فى الاعتقال :

بيدى أيها الأمير الأريب * لا لشيء إلا لأنى غريب
أو لأمم لها إذا ذكرتى * دم قلب فى دمع عين يدوب

يقول له : خذ بيدي لأنى غريب ، ولأن أمى تبكى كلما ذكرتى . والذى أعرفه أن الشجاع إذا قطع بالسيوف تأبى نفسه أن يجعل غربته وبكاء أمه على فراقه مما يشفع له عند الأمير ليفك اعتقاله .

الرابع — أنه هرب عند لقاء فاتك الأسدى . فلما عبره غلامه عاد خشية العار فقتل . ولا أخال من يحاول الهرب من مثل فاتك ، ثم يصرع بين يديه يسمى شجاعاً هذا ، وقد ثبت لى أيضاً من بخل المتنبي أنه لم يكن شجاعاً لأن الكرم والشجاعة سجيتان متلازمتان ، ولأن جميع الأبطال الذين حفظ التاريخ ذكرهم كانوا من الأجواد . وهذا هو مذهب المتنبي نفسه ، فانه لم يصف رجلاً بالشجاعة إلا وقرن بها الكرم ، ولا مدح أحداً بالكرم إلا وأردفه بالشجاعة ، وذلك لا يمانه بانهما خلتان لا تنفك إحداها عن الأخرى . وقد راجعت شعره فى نفسه فرأيت أنه افتخر بالشجاعة والبطش وتهديد الناس

والازدراء بحوادث الدهر ولم ينسب مع شيء من ذلك لنفسه كراماً أو افتخر
بجود ، فعلبت أنه إنما وصف نفسه بما وصفها ليرهب الذين يخالهم من أعدائه .
وإني لنفاسة هذا البحث ، سأذكر لك جميع ما قاله في هذا المعنى ، لتعرف
مقدرة المتنبي في القول ، ولتقر بأن الدهر كان راوية شعره بحق
قال في شجاع بن محمد الطائي :

أعطى فقلت لجوده ما يقتني * وسطاً فقلت لسيفه ما يولد (١)
ففي صدر البيت وصفه بمنتهى الكرم ، وفي الشطر الثاني بمنتهى الشجاعة
وقال في محمد بن زريق :

إن حلّ فارقت الخزائن ماله * أوسار فارقت الجسوم الروسا (٢)
يعنى إن أقام فرق أمواله ، وإن غزا أكثر من القتلى .
وفي علي بن حمدان المري :

حسن في عيون أعدائه أقبح من ضيفه رآته السوام (٣)
أى هو حسن ، ولكنه في عيون أعدائه أقبح من ضيفه في عيون إبله وغنمه ،
لأنها إذا رأت ضيفاً أيقنت بأنها مذبوحة له وهذا وصف بالكرم . وكذلك
أعداؤه إذا رأوه أيقنوا بأنهم مقتولون ، وهذا وصف بالشجاعة
وفي عبدالله بن يحيى :

إلى ليث حرب يلاحم الليث سيفه * وبحر ندى في وجه البحر يغرق (٤)
وفي الحسن بن اسحق :

فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى * يرتجى الحيامنه وتخشى الصواعق (٥)
وفيه أيضاً :

(١) يقتني - يدخر ، وسطاً - غزاه ، أى ما يدخره الأعداء سياً خذه منهم ويجود به ،
وما يلدونه يكون لسيفه (٢) الجسوم - الأجسام (٣) السوام جمع سائمة ، وهى الماشية التى
تترك لتذبح للأضياف (٤) يلاحم أى يجعله حمياً (٥) الجون - القائم فانه يكون شديد
المطر مع نزول الصواعق ، ومثل هذا لا يشاهد عادة فى جو مصر

كأنك في الاعطاء للمال مبغض * وفي كل حرب للمنية عاشق
وفي محمد بن عبد الله العلوي :

وأرهبَ حتى لو تأمل درعه * جرّت جزعاً من غير نار ولا فحم
وجاد فلولا جوده غير شارب * لقلت كريم هيجته ابنة الكرم
أى أنه يخيف من ينظر اليه ، فلو نظر الى درعه متأملاً وهي من الفولاذ
الصلب لذابت خوفاً منه ، وقد جاد جود الثمل فأعطى ؛ عطاءً من لا يعرف
لما في يديه قيمة .

وفي محمد بن الحسن وقومه :

هم المحسنون الكرم في حومة الوغى * وأحسن منه كرمهم في المكارم (١)
وفي طاهر بن الحسين :

فتى علمته نفسه وجدوده * قراع العوالي وابتدال الرغائب (٢)
وفي أنى العشائر :

ما يجيل الطرف إلا حمده * جهدها الأيدي وذمته الرقاب (٣)
مابه قتل أعاديه وليكن * يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب
فله هيبه من لا يرتجى * وله جود مرجى لا يهاب
وفي المغيث بن علي :

عمر العدو إذا لاقاه في رهج * أقل من عمر ما يحوى إذا وهبا (٤)
توقه فمتى ماشئت تلوّه * فكن معاديه أو كن له نشبا (٥)
تحلو مذاقته حتى إذا غضبا * حالت فلو قطرت في الماء مشربا
ولا يرد بفيه كف سائله * عن نفسه ويرد الجحفل اللجبا (٦)
وفي علي بن محمد بن سنان :

أشد من الرياح الهوج بطشاً * وأسرع في الندى منها هبوبا (٧)

(١) الكرم - الهجوم ، والوغى - الحرب (٢) العوالي - الرماح (٣) وصفه في كل بيت
منها بالكرم والشجاعة كما ترى (٤) الراجح - الغبار ومراده الحرب (٥) النشب المال
يريد يقتل عدوه ويفرق أمواله (٦) الجحفل - اللجب هو الجيش الذي يسمع منه دوى
أصوات الأبطال وصهيل الخيل لكثرتهم (٧) الرياح - الهوج الزوابع

وفي علي بن منصور :

ملك سنان قناته وبنانه * يتباريان دماً وعرفاً ساكبا (١)

هذا الذي ألقى النضار مواهباً * وعداه قتلاً والزمان تجاربا (٢)

وفي أحمد بن عمران :

ليس التعجب من مواهب ماله * بل من سلامتها إلى أوقاتها

عجباً له حفظ العنان بأملٍ * ما حفظها الأشياء من عاداتها

وفي عبد الواحد بن العباس :

متبسماً لعفاته عن واضح * تغشى لوامعه البروق اللعاب

متكشفاً لعداته عن سطوة * لوحك منكبها السماء لزعزعا

نفس لها خلق الزمان لأنه * مفنى النفوس مفرقٌ ماجمعا

ويد لها كرم الغمام لأنه * يسقى العماراة والمكان البلقعا

وفي سيف الدولة :

تالله ما علم امرؤ لولا كم * كيف السخاء وكيف ضرب الهام (٣)

وفي كافور :

كرمٌ في شجاعة وذكاء * في بهاء وقدرة في وفاء

وفي أبي شجاع فاتك :

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال

أنظر كيف أقام السيادة هنا على ركنين اثنين وهما « الشجاعة والكرم »

وقال في الأمير دليير :

ومادام دليير يهز حسامه * فلاناب في الدنيا الليث ولا شبل (٤)

ومادام دليير يقلب كفه * فلا خلق من دعوى المكارم في حل

فهذا قول المتنبي في الشجعان قرن في مدحهم الشجاعة بالكرم وكذلك

قرن أيضاً البخل بالجبن تأكيداً على أن الشجاع لا يكون إلا كريماً .

(١) السنان - نصل الرمح والبنان الاصبغ يريد الكف (٢) النضار الذهب

(٣) الهام - الرؤوس (٤) الليث - الاسد والشبل - ولده

قال في قصيدة مدح بها عبد الواحد بن العباس :
بنفسى الخيال الزائرى بعد هَجْعَةٍ * وقولته لى بعدنا الغمض تطعم
سلام فلولا البخل والجبن عنده * لقلت أبو حفص علينا المسلم
وقال فى بدر بن عمار ، وقد ضربت له خيمة على الطريق فجلس فيها
يعطى الناس :

قالوا ألم تكفه سماحته * حتى بنى بيته على الطرق

فقلت إن الفتى شجاعته * تريه فى الشح صورة الفرق (١)

فاعترف بأن الشجاع يرى صورة الخوف فى البخل .

وفى سيف الدولة :

هو الشجاع يُعد البخل من جبن * هو الجواد يعد الجبن من بخل

وفيه منها :

من تغلب الغالبين الناس منصبه * ومن عدى أعادى الجبن والبخل

فملازمة المتنبي لذكر الكرم مع الشجاعة فى جميع مدائمه ؛ وذكر البخل مع

الجبن ؛ دليل على أن الشجاعة والكرم ندان لا يفترقان . وذلك بديهى ، لأن

الشجاعة بذل النفس وهى أغلى وأعز من المال فكيف يبخل بماله من يجود بمهجته ؟

فتبين لنا بما تقدم أن المتنبي ليس بالشجاع الذى ينال السيادة بشجاعته

ثالثاً

هل كان المتنبي حازماً ؟

إن ماجهر به المتنبي من العداة للناس فى الوقت الذى كان فيه محتاجاً الى

ودّهم ؛ وما ألح به على كافور من الرجاء ليكون عاملاً له على احدى الولايات

فى كل قصائده التى مدحه بها حتى حملة على الشك فى اخلاصه ؛ كل ذلك

يدل على خلوه من الحزم وفضلاً عن هذا فان المتنبي قد ندم مراراً على أهوى

صدرت منه . واذا تأملت قوله :

(١) الشح - البخل والفرق بالتحريك الخوف

لما لله ذى الدنيا منا خالراكب * فكل بعيدا لهم فيها معذب

وقوله :

شرُّ البلاد بلاد لا صديق بها * وشر ما يكسب الانسان ما يصم

وقوله :

واذا كانت النفوس كباراً * تعبت في مرادها الأجسام

وقوله :

وما الدهر أهلاً أن تؤمل عنده * حياةً وأن تشتاق فيه الى النسل

وجدتها أسفاً على ما لحقه من الندم على تلك الحملات التي كان يحملها على الناس ؛ فكانت سبباً لتكثير أعدائه وحجاباً بينه وبين صفائه ، ومن أقوى موانع رجائه ؛ وليس أدلّ على خلوه من الحزم من قصيدته التي قالها في مصر حينما بلغه بأن قوماً نعوه في مجلس سيف الدولة ، وهي قوله :

بم التعلل لا أهل ولا وطن * ولا نديم ولا كاس ولا سكن

وفيهما يقول :

رأيتكم لا يصون العرض جاركم * ولا يدرُّ على مرعاكم اللبن

جزاء كل قريب منكم ملل * وحظ كل محب منكم ضغن (١)

وتغضبون على من نال رفقكم * حتى يعاقبه التغيص والمن (٢)

سهرت بعد رحيلي وحشةً لكم * ثم استمر مريري وارعوى الوسن (٣)

وإن بليت بود مثل ودكم * فانتى بفراق مثله قمن (٤)

فقد هجأها سيف الدولة ونسبه لسوء الجوار وأنه يمن على من يحسن

اليه . ثم لما غضب من كافور ندم ندامة الكسعي ، وكتب لسيف الدولة

يكفر عن هذه الخطيئة بقوله :

(١) ضغن جمع ضغينة وهي الحقد (٢) المن - التذكير بالعطاء ويذم لأنه

يؤذى السائل (٣) يريد بقوله ارعوى الوسن أى طاب له النوم وذهب الارق

(٤) قمن أى جدير

فارقتمكم فاذا ما كان عندكم * قبل الفراق أذى بعد الفراق يد (١)
إذا تذكرت ما بيني وبينكم * أعان قلبي على الشوق الذي أجد
ولكن لات حين مندم فقد كان خجل المتنبي من سيف الدولة بسبب هذه
القصيدة أكبر مانع من رحيله اليه .

وقد اعترف المتنبي على نفسه بأنه غير حازم في قوله يذم كافوراً ويظهر
ندمه على فراق سيف الدولة :

عثرت بسيرى نحو مصر فلا لعا * بها ولعا بالسير عنها ولا عثرا (٢)
وفارقت خير الناس قاصد شرم * وأكرمهم طراً لأهم طراً
فعاقبنى المخصي بالصدر جازياً * لأن رحيلي كان عن حلب غدراً
وما كنت الا فائل الرأي لم أعن

بحزم ولا استصحبت في وجهتي حجراً (٣)

وليس وراء هذا دليل على ان المتنبي لم يكن حازماً

رابعاً

هل كان المتنبي في عصبية ؟

لم يكن المتنبي في عصبية ذات شكيمة ، ولم يكن في قومه على ضعف شأنهم
مطاعاً ، ولم يرفعهم بشعره كما فعل غيره .

نعم قال فيهم :

واني لمن قوم كأن نفوسهم * بها أنف أن تسكن اللحم والعضا
ولكن هذا وصف لهم بشدة الكبرياء فقط وليس دليلاً على مجدهم . وفوق
ذلك فقد أنكروهم في مواطن كثيرة ، كقوله :

ولست بقانع من كل فضل * بأن أعزى إلى جد همام

(١) يقول ان ما كنت أحسبه منكم أذى صرت أحسبه كرمًا وصنيفة بقياسه
الى معاملة غيركم (٢) فاللعا - أى فلا كرامة (٣) فائل الرأي سخيفه حجراً
أى عقلا قال تعالى (لذي حجر)

وقوله لمن عاب نسبه

أنا ابن من بعضه يفوق أبا البيا * حث والنجل بعض من نجله (١)

وإنما يذكر الجدود لهم * من نفروه وأنفدوا حيله (٢)

نخراً لعضب أروح مشتمله * وسمهري أروح معتقله (٣)

وقوله لمن جهل نسبه :

جهلوني وان عمرت قليلاً * نسبتني لهم صدور الرماح

لا بقوحي شرفت بل شرفوا بي * وبنفسي نخرت لا بجدودي

وان عمرت جعلت الحرب والدة * والسهمري أخاً والمشرقيّ أبا

من هذا نعلم أن المتنبي أنكر قومه لهونهم عليه كما أنه أنكر أخواله

وجعلهم دونه منزلة بقوله يرثي أمه :

ولولم تكوني بنت أكرم والد * لكان أباك الضخم كونك لي أما

وقد أنكره قومه أيضاً حتى أصبح بينهم غريباً كما قال :

وهكذا كنت في أهلي وفي وطني * ان النفيس غريب أينما كانا

خامساً

هل كان المتنبي جريئاً؟

نعم كان المتنبي جريئاً بلسانه ، وقد ادعى انه علوى وعزم على الخروج

على الحاكم فلما اعتقله وحبسه فل عزمه وجبن ولم تقم له بعدها قائمة

سادساً

هل كان المتنبي من ذوى النجدة؟

(١) يقول أنا ابن من ابنه خير من الباحث عن نسبي يريد الافتخار بنفسه فقط

(٢) نفروه — قهروه بالفخر (٣) العضب السيف

كلا . بل كان أشد الناس كرهاً للناس ، كما رأيت في طور بؤسه . ومن كان هذا ظنه بهم فلا يرجى منه النجدة لا أحد منهم .

سابعاً

هل كان المتنبي عفيفاً ؟

نعم — كانت للمتنبي نفس أبية تقتضيها كبرياؤه ، وله في العفة كلمات ليس لغيره مثلاً ، وهو أول من ثار لنفسه من الهوى بقوله :

وقد استقدت من الهوى وأذقتني * من عفتي ما ذقت من بلباله (١)

وأول من عف يقظةً وحليماً ، بقوله عن نفسه :

يرد يداً عن ثوبها وهو قادر * ويعصى الهوى في طيفها وهوراقده (٢)

ومن فرائده في العفة قوله :

وترى المروءة والفتوة والأبوة * في كل مليحة ضرراتها

هن الثلاث المانعاني لذتي * في خلوتي لا الخوف من تبعاتها (٣)

ومن محاسنه فيها

تقولين ما في الناس مثلك عاشق * جدى مثل من أحببته تجدى مثلي (٤)

محب كني بالبيض عن مرهفاته * وبالحسن في أجسامهن عن الصقل (٥)

وبالسمر عن سمر القنا غير أني * جناها أحبائي وأطرافها رسي (٦)

عدمت فؤاداً لم تبت فيه فضلة * لغير الثنايا الغر والحدق النجل

ولكن العفة وحدها لا تكفي لما أراد

فما تقدم ترى أن فراسة كافور صدقت في المتنبي . وإنه ليس أهلاً للولاية

(١) استقدت من القود وهو قتل النفس بالنفس ، والبلبال اختلاط العقل (٢)

يريد بثوبها جسمها وطيفها خيالها في النوم (٣) تبعاتها ما يترتب عليها من الأثم

(٤) (جدي) فعل أمر من وجد (٥) المرهفات السيوف (٦) سمر القنا الرماح

(٧) الثنايا الغر البيضاء . والحدق النجل العيون الواسعة يقول عدمت القلب الذي

لاشغل له بغير الحب

القسم الرابع من حياة المتنبي

طور يأسه

لما استيأس المتنبي من كافور ، صدمت الخيبة آماله صدمةً بددتها ، وسرى أثرها إلى أخلاقه فبدلها ، وغشيه في بدء أمره شيء من الذسك فقال تلك القطعة البديعة التي تعد من فرائد الحكمة وهي :

- (١) صحب الناس قبلنا ذا الزمانا * وعناهم من شأنه ما عانا (١)
- وتولوا بغصة كلهم منه وإن سر بعضهم أحيانا
- ربما تحسن الصنيع لياليه ولكن تكدر الاحسانا
- وكأنا لم يرض فينا بريب الدهر حتى أعانه من أعانا (٢)
- كلما أنبت الزمان قناة * ركب المرء في القناة سنانا (٣)
- ومراد النفوس أصغر من أن * تتعادي فيه وأن تتفاني (٤)
- غير أن الفتى يلاقى المنايا * كالحات ولا يلاقى الهوانا (٥)
- ولو أن الحياة تبقى لحي * لعددنا أضلنا الشجعانا (٦)
- كل مالم يكن من الصعب في النفس سهل فيها إذا هو كانا (٧)

(١) عناهم - أي شغلهم ما شغلنا من حب الدنيا (٢) ريب الدهر - حواذيه يقول : لم يكتف الانسان بحوادث الدهر التي تصيب أخاه بل أعان الدهر على أخيه الانسان (٣) القناة الرمح يقول : كلما نبت رمح ركب الانسان فيه نصلا ليقتل به أخاه الانسان (٤) يريد أن مطلوب النفوس من الدنيا أحقر من الوسائل التي نعددها له وهي تقاناتنا وتعادينا (٥) المنايا - الموت ، كالحات أي سوداء ، وهو كناية عن شدتها ويريد بالفتى كريم النفس فانه يفضل الموت عن المذلة (٦) وذلك لأن الشجعان عرضة للموت أكثر من سواهم (٧) يقول : كل شيء قبل وقوعه يصعب على النفس ، وبعد وقوعه يسهل ، لذلك ترى من يتوقع موت مريضه يكون في غاية الجزع والقلق ولكن بعد الموت يذهب الحزن شيئاً فشيئاً حتى يعود الحزين الى حالة سروره ولذته

ولكن لم يدم نسكه إلا قليلاً حتى بدت عليه الحسرة ، وهزه الالم هزة
عنيفةً فارتدَّ يهجوا كافوراً إذا خلا بنفسه ، ويمدحه اذا دخل عليه ، ثم
هجره بعد ذلك ، وعاد الى العراق .

وإنك لترى الحسرة بارزةً في القصيدة التي قالها عند خروجه من مصر ،
وقد احاط الالم بكل كلمة من كلماتها ؛ وكان ذلك في يوم عيد ، والناس منهمكون
في سرورهم وهي :

عيدٌ بأية حال عدت يا عيد * بما يمضي ، أم لأمر منك تجديد
أما الأحبة فالبيداء دونهم * فليت دونك بيد دونها بيد (١)
ومنها :

لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدى * شيئاً تتيمة عين ولا جيد (٢)
ياساقبي أحمري في كؤوسكما * أم في كؤوسكما هم وتسبيد
أصخرة أنا ؟ مالي لا تحركني * هذى المدام ولا هذى الأغاريد (٣)
إذا أردت كينت اللون صافيةً * وجدتها وحبيب النفس مفقود (٤)
ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه * أنى بما أنا شاك منه محسود (٥)
وان من يسمع مدح المتنبي في كافور يستبعد أن يقدم على هجائه ، ولكن
المتنبي بعد خيبة أمله أصبح لا يبالي بشيء ، وإنك لتعجب حين ترى انه قابل
أكثر المعاني التي مدحه بها بمثلها هجاءً وهي قوة في إرادة المتنبي قد انفرد بها .
فمن ذلك قوله مؤملاً عند لقائه ؛ يصف الخيل التي أوصلته اليه :

تجاذب فرسان الصباح أعنةً * كأن على الاعناق منها أفاعيا (٦)
بعزم يسير الجسم في السرج راكباً * به ويسير القلب في الجسم ماشيا (٧)

(١) دونهم - أي يئس ويئسهم . (٢) تتيمة - تشغله ، الجيد - العنق ، يريد بذلك
أن همه صرفه عن حب الحسان . (٣) الأغاريد - الأغانى . (٤) الكميتة - حمرة
في سواد يقال : خمر كميته لذات هذا اللون . يريد انه لا يتم له سرور بشيء (٥)
يقول أعجب ما لقيت من هذه الدنيا أنى أحسد على ما أشكوه منه (وهو قربه من كافور) .
(٦) الأعنة - إرسان الخيل ، ودراده هنا ذات الخيل . والأفاعى - الحيات تشبه
بها الأعنة . (٧) أى كان وهو راكب يخفق قابله من الفرح سروراً بقاء كافور

قوا صد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا
فجأت بنا إنسان عين زمانه * وخات بياضاً خافها وما آقيا (١)
نجوز عليها المحسنين الى الذي * نرى عنده إحسانهم والامانيا

ثم هجاء من هذا البحر والقافية بقوله :

أريك الرضى لو أخفت النفس خافيا * وما أنا عن نفسي ولا عنك راضيا
مييناً واخلاقاً وغدراً وخسة * وجبناً أشخصاً لحتلى أم مخازيا (٢)
تظن ابتساماتي رجاءً وغبطة * وما أنا إلا ضاحك من رجائيا
وقال في مدحه زاعماً أنه كان يتقلب في الأصلاب إلى عصره رجاء لقائه :
فتى ماسرينا في ظهور جدودنا * إلى عصره إلا نرجى التلاقيا

وفي هذا المعنى :

فلولم تكن في مصر ماسرت نحوها * بقلب المشوق المستهام المتيم
ثم هجاء بعكس ذلك قائلاً :

ما كنت أحسبني أحيا إلى زمن * يسيئنى فيه عبد وهو محمود
وكان يكنيه في مدحه بأبى المسك ويقول فيه :

وبمسك يكنى به ليس بالمسك ولكن أريج الثناء (٣)

وجعله أيضاً أباً الطيب كاه بقوله :

أبا كل طيب لا أباً بالمسك وحده * وكل سحاب لا أخص الغواديا
بعد ذلك هجاء بضده : فعاتب الدهر على موت فاتك (٤) ، وابقاء كافور
وهو أنتن رائحة :

أبقيت أكذب كاذبٍ أبقينه * وأخذت أصدق من يقول ويسمع

(١) - شبهه لسواده بإنسان العين ، وهو أنف من بياضها لأنه آلة الإبصار .
(٢) المين - الكذب . ويريد بالاختلاف إختلاف الوعد . (٣) الأريج . رائحة المسك
والطيب . (٤) فاتك - كان أميراً للقيوم مدحه المتنبي فأعطاه الف دينار ومات
فاتك والمتنبي في مصر فرثاه بقصيدة جيدة وهذا البيتان منها

وتركت أثنين ريحمة مذمومة * وسلبت أطيّب ريحمة تتضوع
وقال في ذمه وذم قومه بالنتن
ما يقبض الموت نفساً من نفوسهم * إلا وفي يده من ننتها عود
وقال في هذا المعنى يذمه :

وقد ضل قوم بأصنامهم * وأما بزقّ رياح فلا (١)
وقال في مدحه ذا كراً محاسن سواده حين هنأه بدار بناها :
نزلت اذا نزلتها الدار في أحسن منها من السنن والسنة
حل في منبت الرياحين منها * منبت المكرمات والآلاء (٢)
تفضح الشمس كلما ذرت الشمس بشمس منيرة سوداء
إن في ثوبك الذي المجد فيه * لضياء يدرى بكل ضياء
إنما الجلد ملبس وايبضاض النفس خير من ايبضاض القباء (٣)
كرم في شجاعة وذكاء * في بهاء وقدره في وفاء
من لبيض الملوك أن تبدل اللون بلون الاستاذ والسحناء (٤)
ثم هجاه ذاماً سواده بقوله :

العبد ليس لحرّ صالح بأخ * لو أنه في ثياب الحر مولود
لا تشتري العبد إلا والعصا معه * ان العبيد لأنجاس منا كيد
ما كنت أحسبني أحياء إلى زمن * يسيئني فيه عبد وهو محمود (٥)
وإن ذا الأسود المشقوب مشفره * تطيعه ذى العضار يطر الرعايد (٦)
وقال في مدحه ذا كراً بأنه نال الملك بحق :

(١) الزق القربة الصغيرة يريد أن كافوراً قربة مملوءة ريحاً كريهة . يبكت بذلك
الناس بطاعته وانهم أضل من عبدة الاصنام (٢) يريد بمنبت الرياحين حديقة المنزل
وبمنبت المكرمات كافور (٣) القباء نوع من الثياب (٤) السحناء الهيئة
(٥) تكرر هذا البيت لضرورة ذكر ما بعده (٦) الغضار الذي يخدم الناس
بطعامه ، الرعايد . الجبان

وما كنت بمن أدرك الملك بالمنى * ولكن بأيام أشبن النواصيا
ثم قال فى ذمه زاعماً أنه تملك بغدره وخيائه لسيدته :
أكلها اغتال عبد السوء سيده * أو خانة فله فى مصر تأييد
صار الخصى إمام الآبقين بها * فالحرُّ مستعبد والعبد معبود
وقال فى مدحه زاعماً أن الناس أطاعوه لفضله :

يقود إليه طاعة الناس فضله * ولو لم يقدها نائل وعقاب
ثم ذمه زاعماً أنهم أطاعوه لحقهم وفساد إحساسهم :
أنوك من عبد ومن عرسه * من حكمَّ العبد على نفسه (١)
وانما يظهر تحكيمه * تحكم الإفساد فى حسه (٢)
وقال فى مدحه زاعماً أن الله جمع فيه كل معانى الفخر :

يدل بمعنى واحد كل فاخِر * وقد جمع الرحمن فىك المعانیا
ثم ذمه ذكراً أنه مجموعة نقائص :
أميناً واخلاقاً وغدراً وخسة * وجنباً أشخصاً لحت لى أم مخازيا (٣)
وقال فى مدحه زاعماً أنه لما دخل مصر وصل الى أعز الناس نفساً ،
وأكملهم عقلاً :

حتى وصلت الى نفس محجبة * تلقى النفوس بفضل غير محجوب
فى جسم أروع صافى العقل تضحكه * خلائق الناس إضحاك الا عاجيب (٤)
ثم قال فى ذمه بعكس ذلك :

ولم ذا بمصر من المضحكات * ولكنها ضحك كالبيكا
وأسود مشفره نصفه * يقال له أنت بدر الدجى
وقال فى مدحه زاعماً أنه لعلو شأنه تجاوز قدر المدح :

(١) أنوك أى أحمق (٢) يريد أن اختيارهم له ما كافيهم دل على فساد

احساسهم (٣) تكرر هذا البيت للمناسبة

(٤) الاروع . الرجل الذى يعجبك حسنه

تجاوز قدر المدح حتى كأنه * بأحسن ما يثنى عليه يعاب
ثم ذمه زاعماً أنه كان يمدحه حيلة لاستدرار خيره ، وأن مدحه ذم للخلائق :
وشعر مدحت به السكر كدن * بين القريض وبين الرقي (١)
فما كان ذلك مدحاً له * ولكنه كان هجو الورى

وقال فى مدحه ، وقد فضله على ملوك الأرض :

جرى الخلف إلا فيك أنك واحد * وانك ليث والملوك ذئاب
وأن مدح الناس حق وباطل * ومدحك حق ليس فيه كذاب
إذا نلت منك الود فالكل هين * وكل الذى فوق التراب تراب
ولكنك الدنيا الى حبيبة * فما عنك لى إلا اليك ذهاب
ثم هجاه مدعياً بأن كونه ملكاً ، مما يقوى حجة الدهريين الذين ينكرون
وجود مدبر لهذا الكون ، ويقولون لو كان له مدبر لما ملك الناس
غير ساداتهم :

من أية الطرق يأتى مثلك الكرم * أين المحاجم يا كافور والجلم (٢)
جاز الألى ملكت كفاك قدرهم * فعرفوا بك أن السكب فوقهم
يقول إن الذين ملكتهم ، تجاوزوا قدرهم فبطروا وأشروا ، فأذهم الله
بتمليك كلب عليهم ، ثم قال فيها :

الإلقى يورد الهندي هامة * كيما تزول شكوك الناس والتهم (٣)
فانه حجة يؤذى القلوب بها * من دينه الدهر والتعطيل والقدم (٤)

(١) السكر كدن - الخريت وهو قصير القامة واسع البطن ، ويظهر أن المتنبي
رآه فى مصر لانه لا يوجد فى العراق ، فشبّه به لقبح منظره ويقول كان مدحى
له بين الشعر وبين الرقية . يريد أنه كان يضحك عليه بمدحه حتى يأخذ جوائزه
(٢) المحاجم جمع محجم - وهو كائن الحجامه ، والجلم - المقراض « المقص » يريد
أن الحجامه أليق به من المالك (٣) الهندي السيف يقول ألا يوجد من يقتله
ليزول هذا الشك من الناس (٤) تعليل لطلب قتله

ما أقدر الله أن يخزي خليقته * ولا يصدق قوماً في الذي زعموا (١)
وقال فيه وقد فضله على العرب :
ويغنيك عمماً ينسب الناس أنه * اليك تناهى المسكرات وتنسب (٢)
وأى قبيلٍ يستحقك مدحه * معد بن عدنانٍ فدتك ويعرب (٣)
ثم هجاه ذاماً جنسه :

فلا ترج الخير عند امرئ * مرت يد النخاس في رأسه (٤)
وإن عراك الشك في نفسه * بحالةٍ فانظر الى جنسه
فقلبا يلووم في ثوبه * إلا الذي يلووم في غرسه (٥)
وقال في مدحه زاعماً أنه أذنب في مدح الناس قبله :
وتعدلني فيك القوافي وهمتي * كأنى بمدح قبل مدحك مذنب
ثم هجاه زاعماً أنه كان يلهو بمدحه :

أخذت بمدحه فرأيت لهواً * مقالى للاحمق يا حلیم (٦)
فمن هذا يتبين لك مقدار ما ألم بالمتنبى من الألم بعد خيبة الأمل . فلما ترك
مصر ، وعاد الى العراق كف عما كان يجهر به من تهديد الناس ، ولم تعاوده
تلك الخواطر إلا مرة واحدة حينما مدح الوزير أبا الفضل بن العميد ، فجرى
على لسانه عفو أقوله :

صغت السوار لكل كفٍ بشرت * بابن العميد وكل عبدٍ كبرا
إن لم تغثنى خيله وسلاحه * فمتى أقود الى الاعادى عسكرياً ؟
ثم أخذ يتوعد الى سيف الدولة عن بعد ، ومن قوله فيه :
من عبيدى إن عشت لى ألف كافو * رولى من نذاك ريف ونيل

(١) يريد أن قتله يعد خزيا للدهريين وتكذيباً لزعمهم (٢) تناهى - تتناهى
(٣) معد بن عدنان جد عرب الحجاز ، ويعرب بن قحطان - جد عرب اليمن .
أى أنت تقدى بعرب الحجاز واليمن (٤) النخاس - تاجر الرقيق (٥) يريد أنه لا
يلووم في نفسه الا من لووم أصله . (٦) الأحمق تصغير أحمق

وقوله يهجو كافوراً ، ويتملق لسيف الدولة :

- أبا النتن قد قيدتني بمواعد * مخافة نظم للفؤاد مروّع (١)
وقدّرت من فرط الجهالة أتنى * أقيم على كذب رصيف مصنع (٢)
أقيم على عبد خصي منافق * لئيم ردىء الفعل للجود مدّع
واترك سيف الدولة الملك الرضى * كريم المحيا أروعاً وابن أروع (٣)
فتى بحره عذب ومقصده غنى * ومرتع مرعى جوده خير مرتع
تظل إذا ماجئته الدهر آمناً * بخير مكان بل بأشرف موضع

ثم صار يمدح من الأمراء، من لم يسبق له مدحهم، وأبدع ما صدر منه في آخر أيامه قصيدته التي رثا بها أخت سيف الدولة، وقد ختمها بأبيات إذا تأملتها وجدتها صورة ما حدث له يقصها على سيف الدولة ويدعو له، بأن لا يصيبه مثلها وهي قوله :

- فلا تنك الليالى إن أيديها * إذا ضربن كسرن النبع بالغرب (٤)
ولا يعن عدواً أنت قاهره * فأنهن يصدن الصقر بالخرب (٥)
وإن سررن بمحبوب فجعن به * وقد أتيتك في الحالين بالعجب (٦)

(١) مواعد - جمع موعد - أى منعتنى عن السفر لكثرة وعودك لى ، وذلك خوفاً من هجائى المقزع (٢) كذب رصيف - منمق كأنه الصدق (٣) المحيا - الوجه (٤) تنك أى تصل اليك ، ويريد بالليالى حوادثها . النبع - شجر قوى تصنع منه القسي . والغرب بفتح الغين والراء نبت ضعيف يقول : إن أيدي الايام تقتل القوى بالضعيف « كما فعات بي وكسرتنى بيد وشاتى وحسادى وهم أضعف منى » (٥) الصقر طائر من الجوارح القوية ، الخرب - بالتحريك ذكر الحبارى وهو من أبلد الطير . يقول : ان الايام إذا أعانت ذكر الحبارى مع بلادته مكنته من صيد الصقر مع قوته كما فعان بي (٦) فجعن به . أى أوجعن القلب بفقده . يقول : ان حالى السرور والسكر كلاهما من عجائب الدهر

وربما احتسب الانسان غايتها * وفاجأته بأمر غير محتسب (١)
وما قضى أحد منها لبائته * ولا انتهى أرب إلا إلى أرب (٢)
تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم * إلا على شجب والخلف في الشجب (٣)
ومن تفكر في الدنيا ومهجته * أقامه الفكر بين العجز والتعب (٤)
بعد ذلك أخذ المتنبي يجول بين بغداد وفارس وأرجان وشيراز ثم قتل
في رمضان عام ٣٥٤ هجرية وعمره (٥١ سنة)

سبب قتل المتنبي

كان المتنبي هجا رجلاً اسمه ضبة ، وعرض بأمه ونسائه تعريضاً أفحش فيه ،
بقول : لا يطيق قلم الكاتب ان يسطره وأوله :
ما أنصف القوم ضبه * وامه الطرّ طِبّه

وختمها بقوله :

إن أوحشتك المعالي * فانها دار غربه
او آنتك المخازي * فانها لك نسبه
وإن عرفت مرادى * تكشفت عنك كربه
وإن جهلت مرادى * فانه بك أشبهه

وكان لأم ضبة أخ يسمى فاتكاً فأصر على قتل المتنبي وصار يتتبع خطواته
حتى امكنته منه الفرصة وهو عائد من شيراز فخرج عليه وقاتله . ونقل الرواة أن
المتنبي همّ بالفرار من وجه فاتك فقال له غلامه مفلح : اتفر وأنت القائل

(١) الغاية - منتهى الشيء . يقول : ربما حسب المرء للايام حساباً فتأتيه بما ليس في
حسابه كما حصل لي فقد كنت أحسب أني أبلغ ما تمنى من كافور فعدت بالخيبة
(٢) اللبانة والأرب معناهما الحاجة . أي لم يقض أحد من الدنيا مراده « يعزى
بذلك نفسه عما لحقه من الندم والحسرة » (٣) الشجب - الهلاك . أي أن الناس
اختلفوا في كل شيء إلا على اهلاك بعضهم بعضاً ، وهذا عين الخلاف
(٤) يقول ان من يفكر في حياته وجمال دنياه يعيش متعب القلب لأنه يعجز عن بلوغ كل أمل

الخيل والليل والبيداء تعرفني * والسيف والرمح والقرطاس والقلم
فكرت راجعاً يقاتل خشية العار فقتل فانطبق عليه قوله :

وربما فارق الانسان مهجته * يوم الوغى غير قال خشية العار
ويقال: أن المتنبي مرّ قبل لقاء فاتك بصديق له فأخبره الرجل بعزم
فاتك ، ونصحته بأن يصحب معه في الطريق من يتقوى به ، فأبى وقال لا أَرْضِي
أن يتحدث الناس بأنتى سرت في خفارة غير سيفى فأبان له صديقه سوء
رأيه في ذلك ، فقال له المتنبي «أمن عبيد العصا (١) تخاف على ؟ والله لو أن مخصرتى
هذه ملقاة على شاطئ الفرات وبنو أسد معطشون للحمس ، وقد نظروا الماء
كبطون الحيات ، ماجسر لهم خف ولا ظلف أن يردده !» ثم ركب ومضى
في طريقه فلقى فاتك ، وقتله وقتل معه ابنه محسداً وعلامة مفلحاً
وإذا فهمنا من عبارة المتنبي هذه أنه كان على ثقة من نفسه بأن فاتكا
لا يقدر عليه ، فكيف نعلل عزمه على الفرار منه عند لقائه ثم سقوطه بين
يديه صريعاً هو ومن معه؟

لقد فكرت في هذه الواقعة ملياً ، ثم تصورت أنى واقف أنظر إليها عن
كشب ، فرأيت فاتكاً يقاتل المتنبي قتال المظلوم المنتقم الذى يثار لعرضه
وشرفه ؛ والمتنبي يدافع دفاع المذنب الخاطى ، فعلبت ثمة من أين ظهر فاتك عليه .
فانظر كيف كان شعر المتنبي سبب ألمه مدى حياته ، أبعدته عن الناس بعد
أن أدناه منهم ، وقربه من الملوك ثم شرده عن مجالسهم ، ثم جره بين التيه
والكبرياء إلى حتفه أمام من هو أضعف منه قوةً .

ثم انظر إلى أمله كيف كان أكبر مما تطيقه نفسه ، وفوق ما تحتمله همته ،
فهلك ولم يقض وطراً مما أراد ، فأصبحت حياته موعظة لمن جاء بعده .

(١) عبد العصا - الرجل الذى لا تستقيم حاله إلا بالضرب والاذى . والنخصرة -

العصا القصيرة ، الفرات - نهر في العراق يردده بنو أسد وهم قوم فاتك ، معطشون
للحمس - أى مضى عليهم خمسة أيام لم يذوقوا فيها ماء ، وقوله كبطون الحيات - يريد
تدفق الماء وما يحدثه من التعاريج ، ويريد بالخف والظلف - الأبل والغنم .

ولو أن المتنبي قنع بحياة شاعر لعاش من أسعد الشعراء حظاً ولكنه استسلم
لنفسه فأغوته ، ووقف تحت قدميها فأذلتته . وصورت له مع هذه الآلام أنها
رفعتة فوق الأنام ، فقرأته بذلك على أن يقول :

واقفاً تحت أخمصي قدر نفسي * واقفاً تحت أخمصي الأنام

وقد اتبع هواها فأتعبت جسمه ، وشردت نومه ، وكلفته ما ناء به من العناء

وحال بينه وبين الهدوء حتى اضطر لأن يقول إقراراً بما ألم به من الألم :

وإذا كانت النفوس كباراً * تعبت في مرادها الأجسام

وتراه في ظاهر هذا البيت يفتخر ، وفي باطنه يكاد ينتحر .

ومن غرائب الاتفاق أني رأيت المتنبي افتتح مدح كافور بقوله يخاطب نفسه :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً * وحسب المنيا أن يكن أمانياً

فكان ذلك طيرة لداء آماله التي لم تشف في حياته بنيل ما أراد . ورأيته

ختم رجاءه من كافور بكلمة الخيبة في قوله :

وأعلم قوماً خالفوني وشرقوا * وغربت أني قد ظفرت « وخابوا »

وبالخبية رجع من عنده

وأنه قال في آخر قصيدة نظمها يمدح بها حاكم شيراز عند وداعه :

أروح وقد ختمت على فؤادي * بحبك أن يحل به سوا كما

فلم يمدح أحداً بعده .

وفيهما يقول :

وأتى شئت يطرقي فيكوني * أذاةً أو نجاةً أو هلاكاً

ثم سار في طريقه فكانت هلاكاً ، فسبحان من له البقاء المطلق

(انتهى مبحث حياة المتنبي بين الألم والأمل)

أمثال المتنبي

١٣٥١ يوسف أحمد

أتى المتنبي في القريض بخطة * لها منزل في العالمين جليل
هي المثل المختار من كل حكمة * بمحكم قول ليس فيه فضول
لأن كثرت أمثاله عند عدها * فأمثاله في مثلهن قليل

لا شك ان الأمثال التي جاء بها المتنبي منشورة في ديوانه ، لم يأت بمثله شاعر
قبله ، وقد وقف أمامها مبهوراً كل شاعر جاء بعده ، فهو فيها واحد عديم المثال .
وأمثال المتنبي بنفاسة معانيها ، وبلاغة تركيبها ، وسلاسة ألفاظها ، ونبيل
مغزاها ، تعد من آيات البيان عند الأدباء ، ومعجزات البديع عند الشعراء ،
وفواتح القول عند الخطباء ، وشواهد البلاغة عند العلماء ، فكل مثل منها
إما قاعدة صحيحة في الاخلاق الفاضلة ، وإما حكمة بالغة تخضع النفس لقانونها .
وأى رجل يسمع قول المتنبي :

وما الخوف إلا ما تخوفه الفتى * ولا الأمن إلا ما آه الفتى أمنا

أو قوله :

إذا فل عزمي عن مدى خوف بعده * فأقرب شيء ممكن لم يجد عزمًا
ثم يحجم عن اقتحام مضمار هذه الحياة خائضاً جليل الأعمال ؟ وأى مغرور
يصغى لقول المتنبي :

بئس الليالي شهدت من طرب * شوقاً إلى من يبست يرقدها

أو قوله :

ضنى في الهوى كالسم في الشهد كاهناً * لذت به جهلاً وفي اللذة الحتف

ولا يعود إلى رشده ؟

وقد بلغت أمثال المتنبي في عالم الأدب غاية ليس وراءها مطلع لشاعر ،
فقد عنى بجمعها طائفة من أكابر أهل الفضل كأبي العلاء المعري فيلسوف

الشرق ، والصاحب بن عباد إمام أهل الأدب ، وغيرهما ، غير أن أسفارهم أصبحت عزيزة الوجود .

ولقد رأيت الحاجة ماسة إلى نشرها لأنها دروس من الحكمة نافعة في الحث على العمل ومكارم الأخلاق : كالأقدام ، والصبر ، وكرامة النفس ، والعفة ، وحسن المعاملة وغير ذلك ،

فقطفتها من ديوانه ثم رتبها ، وشرحت غامض ألفاظها . وجلوت مغزاهها ، فقربت بذلك بعيدها ، وجعلتها في متناول من شاء من طلاب الأدب خدمة للفضيلة . وما توفيقى إلا بالله ،

الملك الذي

- (١) آلة العيش صحة وشباب * فاذا وليا عن المرء ولي (١)
- أبدأ تسترد ماتهب الذن * يافياليت جودها كان بخلا (٢)
- أبي خلق الدنيا حبيباً تديمه * فما طلبي منها حبيباً ترده (٣)
- أتى الزمان بنوه في شيبته * فسرهم وأتيناها على هرم (٤)
- أحقهم بالسيف من طرب الطلا * وبالأم من هانت عليه الشدايد (٥)
- إذا أتت الاساءة من وضيع * ولم ألم المسىء فن ألوم (٦)
- إذا استشفيت من داءٍ بداءٍ * فأقتل ما أهلك ما شفاكا (٧)

(١) مراده بآلة العيش - وسائل الحياة السعيدة ، كأنه يقول : اذا فقد المرء صحته بالمرض ، وشبابه بالهرم حسب ميته لانعدام لذته وفائدته (٢) يقول إن من عادة الدنيا انها تسترد ما تعطى فتساب الغنى بالفقر ، والولد بالشكل والراحة بالتعب والصفاء بالكدر وهكذا فلو أنها بنحات بما وهبت لاراحتنا من ألم الحسرة على ما تأخذ منا (٣) يقول : ان من طبع الدنيا أن لا تترك لنا ما نحب ، فن العبت إذا أن نطالبها برد ما تأخذ ، لأن ذلك ضد طباعها (٤) مراده بالزمان الدنيا ، يقول : جاءها آباؤنا وهي قابلية السكان كثيرة الخير ، فتمتعوا بنعيمها كما يتمتع الوالد الغنى أولاده بجودة سعيه ، وجئناها بعد أن ضاقت بأهاها ، وكثر تكاليفهم عايبها فلم نجد فيها الذة (٥) الطلي - الاعناق ، يقول : إن أحق الناس بحمل السيف الشجاع لأنه يذود به عن عرضه ووطنه . وأحقهم بالامن من صبح توكانه لأنه موقن بان وقوع الحوادث أمر لا يستطيع أن يدفعه فيقاباها مطعنا (٦) أى لا بد من انزال العقوبة بالمجرم (٧) يقول : إذا تدأوت من مرض بمرض آخر كان الذي شفاك أنتل لنسك مما عوفيت منه كمن يداوى فقره بالسرقه أو بعمهنة تخالف الشرف أو يصبر على الذل إرضاء لمن فوق رتبته

- إذا استقبلت نفس الكريم مصابها * بجبت ثنت فاستدبرته بطيب (٨)
- إذا اشتبهت دموع في حدود * تبين من بكى ممن تباكى (٩)
- إذا اعتاد الفتى خوض المنايا * فأهون ما يمر به الوحول (١٠)
- إذا الجود لم يكسب خلاصاً من الأذى * فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقياً (١١)
- إذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص * على هبة فالفضل فيمن له الشكر (١٢)
- إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا * أن لا تفارقهم فالراحمون هم (١٣)
- إذا رأيت نيوب الليث بارزة * فلا تظن أن الليث يتسم (١٤)
- إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً (١٥)
- إذا صدق أنكرتُ جانبه * لم تعين في فراقه الحيل (١٦)
- إذا فلّ عزمي عن مدى خوف بعده * فأقرب شيء ممكن لم يجد عزمًا (١٧)
- إذا قيل رفقاً قال للحلم موضع * وحلم الفتى في غير موضعه جهل (١٨)

(٨) أراد بالخبت الجزع على المصيبة لأنه ليس من أخلاق الخاصة ويقول : ان العاقل إذا جزع لمصيبة لا يلبث أن يعود الى الصبر (٩) يريد أن الشدائد تميز المحبين (١٠) المنية - الموت ، ويريد أسبابها ، ويقول : ان من تعود الصبر على الشدائد هان عليه مادونها (١١) يقول : إذا اتبعت إحسانك بمن أو تعاضم على من أحسنت اليه فقد أضعت المال والثواب معاً (١٢) لأفضل لك إذا انتظرت الشكر على الاحسان لان احسانك يكون ثمة رياء (١٣) يقول : إذا اضطرت للرحيل عن قومك بسبب أمر وكان في إمكانهم دفعه عنك فلا تعد راحلاً عنهم ، بل هم الذين رحلوا (١٤) الليث - الاسد ، يحذر ك الاغترار بإبتسامة عدوك (١٥) يريد أن الجبان يخاف من كل شيء (١٦) يقول : متى غض صديق طرفه عنى بلا سبب هان على تركه (١٧) يقول : إذا تهيت عظام الامور ، فان همتك تعجز عن صغيرها (١٨) أى ان ترك إقامة الحدود على مرتكبي الجرائم مفسدة ، وإقامتها تلزم كل إنسان حده

إذا كنت في شكٍّ من السيف فابله * فاما تنفّيه وإما تعده (١٩)

إذا كان مدحاً فالنسب المقدم * أكل فصيح قال شعراً متيم ؟ (٢٠)

إذا لم تكن نفس النسب كأصله * فماذا الذي تغني كرام المناصب (٢١)

إذا ما تأملت الزمان وصرفه * تيقنت أن الموت ضرب من القتل (٢٢)

أرى الأجداد تغلبها كثيراً * على الأولاد أخلاق اللئام (٢٣)

أصادق نفس المرء من قبل جسمه * وأعرفها في فعله والتكلم (٢٤)

أعز مكان في الدنيا سرج سابح * وخير جليس في الزمان كتاب (٢٥)

أعلى الممالك ما يبني على الأسل (٢٦)

أعيدها نظراتٍ منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم (٢٧)

أفاضل الناس أعراض لدى الزمن * يخلو من الهم اخلاهم من الفطن (٢٨)

(١٩) أي اختبر صديقك فان لم يعجبك فابتعد عنه (٢٠) النسب . النزل ، أي لا يحسن أن تكاف النفس ضد طباعها . (٢١) يقول : ان صاحب المنصب السامي إذا لم يكن سامي النسب فان شرف منصبه لا يكسبه شيئاً من شرف النفس . (٢٢) صرف الزمان - حوادثه ، والضرب - النوع ، يعني أن جميع أسباب الموت متفقة . في النتيجة (٢٣) يقول : إن اختلاط أولاد الكرام باللئام يكسبهم لئوماً يغلب كرم أصولهم « كما قيل : إذا مر النسيم بالزهر ذكاً ، وبالجيفة خبث » (٢٤) مراده لا يفرك جمال الظاهر والبحث عن جمال النفس ويدلك عليه القول والفعل (٢٥) الدنيا - الدنيا ، السابح - الفرس ، واختار مجالسة الكتاب لانه يفيد جليسه ولا يغتابه كما يفعل بعض الناس (٢٦) الاسل . الرماح ، ومراده القوة (٢٧) ينهك عن الاغترار بضخامة المنظر قبل الاختيار لان الورم يشابه السمن وبينهما بون بعيد إذ الأول نتيجة المرض والثاني نتيجة الصنعة (٢٧) أعراض أي - معرضون لمهائب الايام لاهتمامهم بتأدية الواجب من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والسعي في رفع شأن الفضيلة وأعداء ذلك كثيرون .

ألا أرى الأحداث مدحاً ولا ذمّاً * فباطشها جهلاً ولا كفها حلماً (٢٩)

إلف هذا الهواء أوقع في النفس * إن الحمام مر المذاق (٣٠)

إن بعضاً من القريض هذآء * ليس شيئاً وبعض إحكام (٣١)

إن العظيم على العظيم صبور (٣٢)

إن في الموج للغريق لعذراً * واضحاً أن يفوته تعداده (٣٣)

إن خير الدموع عندي لدمع * بعثته رعاية فاستهلا (٣٤)

إن المعارف في أهل النهى ذمم (٣٥)

إن الرياح إذا عمدن لناظرٍ * اغناه مقبلها عن استعجاله (٣٦)

إن الكذاب الذي أكاد به * أهون عندي من الذي نقله (٣٧)

أنا الغريق فما خوفي من البلبل (٣٨)

(٢٩) الأحداث - النائبات. يقول: لا دخل للنائبات فيما أصابنا فانها تنزل بقضاء الله وقدره (٣٠) الحمام - الموت ، يريد أن إفتنا لهذه الحياة صورت لنا أن الموت شىء لا يطاق حتى أصبح أقبح شىء لدينا .

(٣١) القريض - الشعر ، يقول : ان بعض الشعر لا شىء ، وهذآء - سخف ، كما أن بعضه حكم ، وفي الحديث (ان من الشعر لحكمة) (٣٢) يقول : ان أكابر الناس وهم الذين كُتبت فيهم الفضيلة أكثر الناس احتمالاً للشدائد وصبراً على أنوائب الدهر (٣٣) يريد أن المشغول لا يشغل (٣٤) الرعاية - ذكر العهود استهمل - سال ، يريد أن البكاء عند محاسبه النفس على ما فرط منها خير منه في أى مناسبة أخرى (٣٥) النهى - العقول ، الذمم - العهود ، يقول : إن معرفتك بالرجل تحتم عليك معونته عند الشدة (٣٦) عمدن - قصدن ، والناظر هنا المنتظر ، أى يسرعن اليه ، يريد أن لا تستعجل طاب الشىء فان ما كان لك سوف يأتيك فاطلبه برفق إذا كان ولا بد من الطالب (٣٧) الكذاب - الكذب ، يريد أن ناقل الكذب شر منه (٣٨) مراده أن من يقع في مصيبة يجب أولاً أن يعمل للخلاص منها قبل أن يفكر فيما يلحقه بسببها من التبعات

إِنَّمَا لَنِي زَمَنٌ تَرَكَ الْقَبِيحَ بِهِ * مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَاجْمَالٌ (٣٩)

إِنَّمَا تَنْجَحُ الْمَقَالَةَ فِي الْمَرْءِ * إِذَا صَادَفْتَ هَوِيَّ فِي الْفُؤَادِ (٤٠)

أَنَا أَصَاحِبُ حَلَمِي وَهَوْبِي كَرِيمٌ * وَلَا أَصَاحِبُ حَلَمِي وَهَوْبِي جَبِنٌ (٤١)

أَيُّ أَسَدٍ فِي جَسْمِهِ رُوحٌ ضَيْغَمٍ * وَكَمْ أَسَدٍ أَرْوَاحِنَ كِلَابٍ (٤٢)

بِأَبِي الْوَحِيدِ وَجَيْشِهِ مَتَّكَاتٌ * يَبْكِي «وَمِنْ شَرِّ السَّلَاحِ الْأَدْمَعُ» (٤٣)

بِحَبَّةِ الْعَيْرِ يَفْدَى حَافِرَ الْفَرَسِ (٤٤)

بِذَا قَضَيْتَ الْأَيَّامَ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا * مَصَائِبَ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدَ (٤٥)

تَبْخُلُ أَيْدِينَا بِأَرْوَاحِنَا * عَلَى زَمَانٍ هِنٍّ مِنْ كَسْبِهِ (٤٦)

تَحَازِرُ هَزْلَ الْمَالِ وَهِيَ ذَلِيلَةٌ * وَأَشْهَدُ أَنَّ الذَّلَّ شَرٌّ مِنْ الْهَزْلِ (٤٧)

(٣٩) يقول: جبل الناس على الأذى فمن كف منهم عنه عد من المحسنين (٤٠) يريد أن النصيحة لا تجدي نفعاً إلا إذا تجاوزت الأذن إلى القلب (٤١) يقول: لا يكون الحلم حاملاً إلا مع القدرة، وأما مع العجز فيكون جبناً فأنا لا أحلم إذا عد حلمي عجزاً (٤٢) الضيغم - الأسد. يقول: أنت أسد أوتيت قوة الأسد وعفته، وكثير من الناس له قوة الأسد وشراهة الكلاب (يريد بالأسد الرجل القوي بمنصبه) (٤٣) يقول: إن البكاء سلاح العاجز وسمى البكاء سلاحاً لماله من التأثير على القلوب (٤٤) العير - الحمار، الحافر من الفرس كالقدم من الإنسان. يقول: إن رأس الحمار فداء لحافر الفرس ويريد أن حياة العالم أنفع للناس من حياة ألف جاهل (٤٥) يريد أن سنة الله جرت في خلقه أن تكون مصيبة بعض الخلق فائدة لبعضهم. من أمثال ذلك: أن الأسد لا يشبع إلا إذا افترس غزالاً ولا ينتصر أحد العسكرين إلا بتشتيت الآخر وهلم جرا. مغزاه: لا تفرح بفائدة جاءتك عن مصيبة آخر فستكون مصيبتك فائدة لسواك (٤٦) يقول إن الزمان ظرف لوجودنا وسبب لحياتنا فكيف نبخل عليه بأرواحنا بشدة الحزن على موتانا (٤٧) يذم أمة ويقول: أنها تبخل خوف الفقر فيباحقها ذل البخل وهو أكثر شراً من نقص المال

ترفق أيها المولى عليهم * فان الرفق بالجاني عتاب (٤٨)

تصفو الحياة لجاهلٍ أو غافلٍ * عما مضى منها وما يتوقع (٤٩)

تغر حلاوات النفوس قلوبها * فتختار بعض العيش وهو حمام (٥٠)

جمع الزمان فلا لذيذ خالص * مما يشوب ولا سرور كامل (٥١)

حسن الحضارة مجلوب بتطرية * وفي البداوة حسن غير مجلوب (٥٢)

خالق الخلق خالق الخلق (٥٣)

خذ ماتراه ودع شيئاً سمعت به * في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل (٥٤)

خذوا ما أتاكم به واعذروا * فان الغنيمة في العاجل (٥٥)

خليلك أنت لامن قلت خلي * وان كثر التجميل والكلام (٥٦)

خير الطيور على القصور وشرها * يأوى الخراب ويسكن الناووسا (٥٧)

(٤٨) يريد أن الرفق بالمجرم قد يردده إلى الصواب ويحميه على اجتناب الجرائم
(٤٩) يقول ان الجاهل لا يحاسب نفسه على ما قصر فيه فيما مضى من عمره والغافل
لا يحسب للآتي فكلاهما مسرور بعيشه بعكس العقلاء فهم بين ندم على تقصير
مضى وحساب لما يأتي به الدهر مما خبأته الاقدار (٥٠) يقول إن شهوات
النفوس توقع القلوب في ظلمة الدمار (٥١) جمع : اتبع هوى نفسه ومراده فسد
الزمان فلا لذة خالصة من تنغيص ولا سرور خال من حزن يعقبه (٥٢) الحضارة :
سكنى المدن . والبداوة : سكنى البادية . يريد أن محاسن الطبيعة أشهى للنفس
من التجميل لان تلك مستمرة وهذه سرعان ما تتغير (٥٣) مغزاه : أن الطباع
غرائز (٥٤) يقول أن العاقل لا يضيع الموجود سعيًا وراء المفقود كمن يقامر
ليربح أكثر من ماله فيخسر ما يملك (٥٥) مغزاه : إن الثقال المعجل أنفع من
الكثير المؤجل لانك لا تدري ماذا يحدث لك (٥٦) يقول لا ينفعك غير عزيمتك
وإن أكثر من يدعى مودتك (٥٧) الناووس : المقبرة . مغزاه . أن أفاضل الناس
يعشون المعابد ونوادي الادب ومجامع العلم ومواطن الفضيلة والرعا ع ما واهم بؤر

دع النفس تأخذ وسعها قبل بينها * فمفترق جاران دارهما العمر (٥٨)

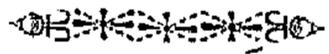
دون الحلاوة في الزمان مرارة * لا تختطى إلا على أهواله (٥٩)



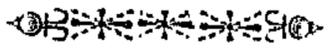
ذكر الفتى عمره الثاني . وحاجته * ما فاته . وفضول العيش أشغال (٦٠)

ذل من يغبط الدليل بعيش * ربّ عيش أخف منه الحمام (٦١)

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله * وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم (٦٢)

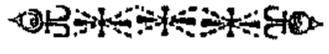


رب أمر أتك لا تحمد الفعّال * ل فيه وتحمد الأفعالا (٦٣)

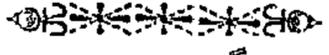


سبحان خالق نفسى كيف لذتها * فيما النفوس تراه غاية الألم (٦٤)

سبقنا إلى الدنيا ولو عاش أهلها * منعنا بها من جيئةٍ وذهوب (٦٥)



شر البلاد بلاد لا صديق بها * وشر ما يكسب لانسان ما يصم (٦٦)



ضنى في الهوى كالسهم في الشهد كامناً * لندت به جهلاً وفي اللذة الحتف (٦٧)

الفساد ومحال الريب ومواقف الشبه

(٥٨) مغزاه اعط نفسك حقها قبل الموت (٥٩) يقول إن طالب المعالى لا يصل اليها

إلا بعد كثير من المشاق (٦٠) يقول إن الانسان دائم الذكر لماضيه ساعياً في طلب

ما بعد عنه وهو بين ذلك يبحث عن رزقه مغزاه إن أكثر الناس يضيعون حياتهم سدى

(٦١) ذل - دعاء على من يغبط الدليل على حياته ويتمنى لنفسه مثل حاله لان العاقل

يختار الموت عن الحياة مع الذل (٦٢) يقول إن العاقل يشقى بعقله وهو النعمة الكبرى

ومعنى شقاؤه أنه ملزم بأداء ما يجب عليه نحو دينه وقومه ووطنه على أكمل وجه .

وأما الجاهل فلا يعبأ بشيء من هذا ، وبما أن الاهمال في مثل هذا الواجب يعد

شقاء للنفس فالجاهل منعم أى مسرور في هذا الشقاء (٦٣) يقول إن من الناس من

يسرك فعله ولا تسرك عقيدته (٦٤) يريد أن المخاطرة تلد للمقدام وإن عدها سواه

تعباً وألماً (٦٥) يقول إن موت أناس حياة لآخرين ولولا ذلك لضاقت الارض باهاها

(٦٦) يصم - يعيب . يذم الوحدة وفعل ما يعاب (١٠) الضنى - المرض . والهوى -

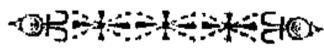
العشق . والحتف - الهلاك . يقول إن العاشق بلذ له الهوى وفيه هلاكه كما يلذ العسل

عرفت الليالى قبل ما صنعت بنا * فلما دهنتى لم تزدنى بها علما (٦٨)

عش عزيزاً أومت وأنت كريم * بين طعن القنا وخفق البنود (٦٩)

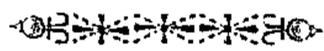
على ذا مضى الناس اجتماع وفرقة * وميت ومولود وقال وواقم (٧٠)

على قدر أهل العزم تأتي العزائم * وتأتى على قدر الكرام المكارم (٧١)



غاض الوفاء فما تلقاه فى عدة * وأعوز الصدق فى الاخبار والقسم (٧٢)

غثاته عيشى أن تغث كرامتى * وليس بغث أن تغث المآكل (٧٣)



فان قليل الحب بالعقل صالح * وإن كثير الحب بالجهل فاسد (٧٤)

فان كنت لاتعطى الزمام طواعة * فعوذ الأعدى بالكريم ذمام (٧٥)

فان يك إنسان مضى لسيدله * فان المنايا غاية الحيوان (٧٦)

المسموم للآكل وفيه موته

(٦٨) مغزاه - أنه عرف من كونه إنساناً أنه عرضة لحوادث الدهر فاذا أصابه شيء

منها لم يجزع له (٦٩) يريد أن الموت فى سبيل الحرية خير من الحياة فى سبيل

الاستعباد (٧٠) القالى - الهاجر . والواقم - المحب . يقول إن هذه عادة الايام فى الناس

من قديم الزمن كل جمع يؤول الى الفراق وكل حى سائر للموت ثم يحل مكانه حى آخر

(٧١) يقول : إن عظام الامور يقوم بها أعظم الرجال كما تدل الصنعة على قدرة

صانعها والهدية على مقدار مهديها (٧٢) غاض - ذهب ، والعدة - الموعد يقول : لم

يبقى فى الناس من يفى بوعدده وكثر الكذابون حتى احتاج السامع الى الزام المتكلم

بحاف اليمين حتى يثق بكلامه (٧٣) غثاة العيش - أى رداءة الحياة ، يريد أن الفقر

لا يحسب نكداً على النفس بل النكد هو ذلها ولو كان صاحبها فى سعة من الرزق

(٧٤) محبة العاقل وان قات خير من محبة الجاهل وان كثرت لأنها قد تجلب

ضرراً كالأم التى تحمها محبة طفلها على إطعامه اكثر مما تطيقه معدته فيتخهم ويموت

(٧٥) إذا كنت لاتصفح عن المسىء إليك راغباً فى العفو فان عوده بك يلزمك

ذلك (٧٦) الحيوان هنا : مصدر الحياة ، يريد أن مآل كل حى للموت

فانى رأيت الضرَّ أحسن منظراً * وأهون من مرءٍ صغير به كبر (٧٧)

فأطلب العز في لظى ودع الذلَّ ولو كان في جنان الخلود (٧٨)

فالموت أعذر لى والصبر أجمل بي * والبر أوسع والدنيا لمن غلبا (٧٩)

قتى زان في عيني أقصى قبيلة * وكم سيد في حلة لا يزينها (٨٠)

فرب كئيب ليس تندى جفونه * ورب ندى الجفن غير كئيب (٨١)

فصرت كالسيف حامداً يده * ما يحمى السيف كل من حمه (٨٢)

فطعم الموت في أمرٍ حقيرٍ * كطعم الموت في أمرٍ عظيم (٨٣)

فقلبا يلووم في ثوبه * إلا الذى يلووم في غرسه (٨٤)

فقر الجهول بلا عقلٍ الى أدب * فقر الحمار بلا رأسٍ الى رسن (٨٥)

فقد يظن شجاعاً من به خرَّق * وقد يظن جباناً من به زمع (٨٦)

(٧٧) يقول : إن الحقير اذا تكبر كان النظر اليه أشع من النظر إلى المصيبة
(٧٨) يريد باللظى : المشقة وبالجنان : الراحة ، ويقول : اطاب العز ولو تعبت في سبيله
(٧٩) يريد أن القوى مسيطر عادة على الضعيف (٨٠) يقول إن من الناس من يرفع
شأن قومه بحسن فعله ومنهم من يكون وجوده في أسرته سبباً لاحتقارها لما يجره
عليها من المتاعب وسوء السمعة . (٨١) الكئيب . الحزين ، يقول قد لا يبكى
الحزين لرجاحة عقله ، وكثير من الناس يبكى لغير حزن فالبكاء وحده لا يكفي
لإثبات الحزن (٨٢) يقول أصبحت كسيف الممدوح أشكر يده على جودها
كما يشكرها السيف على استعماله فيما صنع من أجله . ينطبق على من يؤدى عمله على
الوجه الأكمل (٨٣) لأن الغاية واحدة وهي الموت (٨٤) ثوبه - قابه . وفي
القرآن « وثيابك فطهر » أى قابك . غرسه - أصله يريد أنه ينذر أن يلووم ابن
الكرام (٨٥) الجاهل - الاحمق ، ولا يحتاج الى تأديب لفقده الاستعداد كالحمار
الذى ليس له رأس فهو غير محتاج إلى الرسن (٨٦) الخرق بفتح الراء - الطيش ،

فكثير من الشجاع التوقى * وكثير من البليغ الكلام (٨٧)

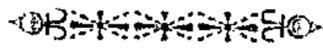
فلا يديم سروراً ما سررت به * ولا يرد عليك الفات الحزن (٨٨)

فلا ينفع الأسد الحياء من الطوى * ولا تتقى حتى تكون ضواريا (٨٩)

فلا تغرك السنة موال * تقلبهن أفئدة أعادى (٩٠)

فلا قضى حاجته طالب * فؤاده يخفق من رعبه (٩١)

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله * ولا مال في الدنيا لمن قل مجده (٩٢)



قد أفسد القول حتى احمد الصمم (٩٣)

قد كنت أشفق من دمعى على بصرى * فالآن كل عزيز بعدكم هانا (٩٤)

قد هون الصبر عندى كل نازله * ولين العزم حد المركب الحشن (٩٥)

قد يصيب الفتى المشير ولم يجهد * ويخطى المراد بعد اجتهاد (٩٦)

الزمع - الرعدة من النشاط فيظن انها من الخوف ولكن الاختبار يميز هذا من ذلك (٨٧) مراده في البيت أن ممدوحه شجاع وفصيح فالرجل الذى يتقى ضرباته حسبه ذلك شجاعة والذى يستطيع الكلام فى مجلسه حسبه ذلك بلاغة ، ولكن المغزى الذى يؤخذ منه بعد ذلك أن الشجاع كثير التوقى والبليغ لا يعجزه القول متى شاء (٨٨) يقول : ان السرور سريع الزوال فلا تغتر به كما أن الحزن لا يرد فائتاً فلا تعتمد عليه (٨٩) الطوى - الجوع ، ضواريا - مفترسة وشرسة ، مغزاه إن الحصول على الحاجة يقتضى الاقدام (٩٠) مغزاه : اعتمد فى المحبة على القلوب لا على الألسنة (٩١) مغزاه : أن الخائف الجبان يعجز عن إدراك أمنيته (٩٢) أى لا عز فى الدنيا لمن لا مال عنده « يحثك على السعى » ويقول : لا غنى لمن لا فضل عنده (يحثك على اتباع الفضيلة) (٩٣) يريد ان الناس تركوا محاسن الكلام حتى أصبح العاقل يتمنى الصمم (٩٤) يريد أن فقد العزيز يهون كل شىء بعده (٩٥) مغزاه : ان الصبر يهون المصائب وصدق العزيمة يخفف المتاعب (٩٦) مغزاه : إن المشورة توصل إلى الصواب سريعاً وأن المستبد برأيه قد يخطىء بعد طول التفكير

كدعواك كل يدعى صحة العقل * ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهل (٩٧)

كشير حياة المرء مثل قليلها * يزول وباقى عمره مثل ذاهب (٩٨)

كريشة في مهب الريح ساقطة * لا تستقر على حال من القلق (٩٩)

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا * وحسب المنايا أن يكن أمانيا (١٠٠)

كلام أكثر من تلقى ومنظره * مما يشق على الآذان والحدق (١٠١)

كل حلم أتى بغير اقتدار * حجة لاجيء اليها اللئام (١٠٢)

كل غادٍ لحاجةٍ يتمنى * أن يكون الغضنفر الرئبالا (١٠٣)

كم مخلصٍ وعُلى في خوض مهلكةٍ * وقَتلةٍ قرنت بالذم في الجبن (١٠٤)

(٩٧) يقول : إن كل إنسان يرى نفسه أعقل الناس . بحث على عدم الاستبداد بالرأى (٩٨) يريد أن الحياة تنجم بالموت فطولها وقصرها في نظر العاقل سيات (٩٩) مثل يضرب للرجل كثير التردد (١٠٠) يريدان أكبر المصائب مفضل الموت على احتمالها ، وفي حديث الترمذى « إذا كانت أمراؤكم خياركم واغنياؤكم سمحاءكم وأموركم شـورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها ، وإذا كانت أمراؤكم اشراركم واغنياؤكم بخلاءكم واموركم الى نساءكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها »

١٠١ « إن كثيراً من الكلام يمجه السمع » يريد المعيب منه « وكثيراً من الناس لا يسترىح النظر الى رؤيته لظهوره باكثر مما تحتمله ذاته كالمتظاهر بالكبرياء (١٠٢) يقول : إن الجبان يحتمل الذل ويعده حاملاً وذلك لشدة ثؤمه مع انه في الواقع عجز منه وجبن (١٠٣) الغادى - الذاهب ، الغضنفر والرئبال : الأسد ، يريد إن طالب الحاجة لاهم له إلا أن تقضى « ياتمس له العذر إذا ألح في الطلب » (١٠٤) يقول كم نجاة كانت في خوض مهلكة وعادت بالهخر على فاعاها « كما فعات تركيا صانت كيانه واستردت شرفها باستبسالها الأخير » وكم جبان أخذ وقتل غير مأسوف عليه

كيف لا يترك الطريق لسيلٍ * ضيق عن أتية كل واد (١٠٥)



لحا الله ذى الدنيا مناخاً لراكب * فكل بعيد الهم فيها معذب (١٠٦)

لُعِنَتِ مقارنة اللئيم فانها * ضيف يجر من النداهة ضيفنا (١٠٧)

لعل عتبك محمود عواقبه * وربما صحت الأجسام بالعلل (١٠٨)

لكل امرئ من دهره ما تعودا (١٠٩)

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها * سرور محبٌ أو اساءة مجرم (١١٠)

لو فكر العاشق في منتهى * حسن الذى يسببه لم يسبه (١١١)

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال (١١٢)

ليس الجمال لأنف صح مارنه * أنف العزيز بقطع العز يجتدع (١١٣)

(١٠٥) ينهى عن الاندماج فى الفتن (١٠٦) المناخ المحل الذى ينتهى إليه المسافر فى يومه وينبغ فيه راحته ، وقد يكون كثير الهوام والسباع فيمضى المسافر ليله خائفاً معذباً « شبه الدنيا بذلك ، لأنها لا راحة فيها لعامل » (١٠٧) مقارنة اللئيم صحبته لأنها تجر وراء الندامة تعباً للنفس ، والضيفن - الطفيلى الذى يتبع الضيف بدون دعوى (١٠٨) يقول : إن العتاب وإن كان مرثاً فانه ينتهى إلى إزالة سوء التفاهم كالعلل التى تشفى بعامل اخرى كما يفيد الكى بالنار لداء مخصوص ، وكما يتوقى من أمراض شتى بتلقيح المرء بميكروب ذات المرض (١٠٩) يقول : إن الانسان لا يهون عليه ترك عاداته : كما ان فقر الكريم لا يمنعه عن الاحسان ، وغنى البخيل لا يدفعه الى الجود (١١٠) يقول : إذا لم تنفع بمالك صديقك أو تقابل به عدوك فامن تدخره إذا ؟ والمراد باساءة المجرم إعداد ما يدفع شره

(١١١) سباه - استرقه ، لأن العاشق يكون فى حكم الرقيق لمعشوقه فاذا فكر هذا المسكين فى مصير من أحبه لما ملكه قلبه (١١٢) يقول إن المشقة هى التى فضلت بعض الناس على بعض ، لأن الكرم فى نظر البخيل يفقر والاقدام فى ظن الجبان يعجل الموت (١١٣) المارن - رأس الأنف وحسنه يكسب الوجه جمالا ، ويجتدع - يقطع

(١١٤) ليس التكحل في العينين كالسكحل

ليس يحبك الملام في همم * أقربها منك نك أبعدها (١١٥)

+ ليس عزماً ممرض المرء فيه * ليس همماً ماعاق عنه الظلام (١١٦)



ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه * انى بما انا شك منه محسود (١١٧)

ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن (١١٨)

ما كل من طلب المعالي نافذاً * فيها ولا كل الرجال فحولاً (١١٩)

من الحلم ان يستعمل الجهل دونه * إذا اتسعت في الحلم طرق المظالم (١٢٠)

من اقتضى بسوى الهندي حاجته * أجاب كل سؤال عن هل بلم (١٢١)

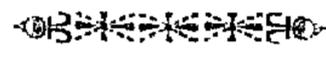
من أراد التماس شيء غلاباً * واغتصاباً لم يلتمسه سؤالا (١٢٢)

من كان فوق محل الشمس موضعه * فليس يرفعه شيء ولا يضع (١٢٣)

والعزيز : القوي ومراده أن الجمال الحقيقي ليس لتناسب أعضاء الوجه ، لأنها عرضة للتغيير بل هو النفس الكاملة (١١٤) التكحل : وضع الكحل في العين ، والسكحل سواد الجفن خائفة ، ومراده أن التكافل لا يكون كالطبع (١١٥) أى لا ينفع النصيح فيمن جسمه معك وقلبه مع سواك (١١٦) مرض - قصر ، والههم هنا ما همهم بفعله في نفسك يقول : لا تسمى ذا عزم اذا قصرت فيما تريد ، ولا تكون ذاهمة اذا عاقك اى عائق عمائممت به « يحثك على المضي فيما تشرع في عمله » (١١٧) يقول إن أعجب ما رأيت من الدنيا أن الناس تحسدني على ما أشكو منه وذلك لأنهم يرون ظاهري فقط (١١٨) يدركه - يناله ، وهذا دليل على حكمة المدبر إذ لو نال كل متمن ما أراد لفسد نظام الكون لا تفاق العالم على طاب الغنى (١١٩) نافذاً فيها أى قادراً على بلوغها ، ومغزاه : إن قايلاً من الناس من يكون أهلاً لمركز سام (١٢٠) يقول : إن من الحلم أن تدافع عن الحلم بالجهل إذا عد حلمك عجزاً وخفت أن تغاب (١٢١) الهندي - السيف ومراده القوة . يقول : إن القوى اذا سأل اجيب بلا تردد والضعيف اذا سأل شيئاً قيل لم تطالبه مغزاه لاطاعة الا للقوى (١٢٢) يقول ان الذى يريد الحصول على مراده بالقوة لا يطالبه عادة بالسؤال (١٢٣) أى من بلغ

من يعرف الشمس لم ينكر مطالعها * أو يبصر الخيل لا يستكرم الرمكا (١٢٤)

من يهن يسهل الهوان عليه * ما الجرح بميت إيسلام (١٢٥)

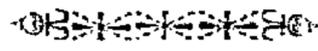


نكبي على الدنيا وما من معشر * جمعهم الدنيا فلم يتفرقوا (١٢٦)

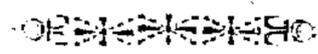
نحن بنوا الموت فما بالنا * نكره ما لا بد من شربه (١٢٧)

نصيبك في حياتك من حبيب * نصيبك في منامك من خيال (١٢٨)

نعد المشرفة والعوالي * وتقتلنا المنون بلا قتال (١٢٩)



هون على بصير ماشق منظره * فأنما يقظات العين كالحلم (١٣٠)



وأتعب خلق الله من زاد همه * وقصر عما تشتهي النفس وجده (١٣١)

وأتعب من ناداك من لا تجيبه * وأغبط من عاداك من لا تشاكل (١٣٢)

درجة الكمال فلا يرفعه المدح ولا يقدح في رفعة حسد الحاسد (١٢٤) الرمك جمع رمكة بفتح الميم - انثى البراذين وهي الخيل التي ليست بكريمة. مغزاه من سحب الأخيـار لا تاذله صحبة الاشرار (١٢٥) يقول : ان الدليل بطبعه لا يبالي بالذل كما ان الميت لا يتألم من الجرح (١٢٦) يقول. تهافت على حب الدنيا ونحن نعلم انها ستبدد ثماننا كما فعات بمن قبلنا (وهذا غاية الخطأ) (١٢٧) يقول نكره الموت ونحن بنوه لا نناوئ جدها من العدم فكيف نكره العود اليه ونحن نعلم أن لا بدلنا منه (يحثك على التزود لهذا السفر الطويل) (١٢٨) يقول لا يبتئ لك حبيب في هذه الدنيا لسيرها الى الفناء كما ترى في منامك أشياء تسربها فاذا انتبهت لم تجد لها (١٢٩) يقول : نهىء السلاح لقتال اعدائنا ولكن الموت يقتلنا بلا قتال لعجزنا عن الدفاع (١٣٠) شق منظره أى تكره العين النظر اليه مما يخالف الذوق والأدب والفضيلة فمثل هذا لا تكلف عينك النظر اليه وتمعن بالنظر الى محاسن الوجود لأن مشاهد اليقظة : كم شاهد الحلم في سرعة التغير (١٣١) يقول إن اكثر الناس تعباً من كثرت حاجاته الى الدنيا وعجز عن نوال مراده منها مغزاه لا تشغل نفسك بطلب ما يعجزك ادراكه (١٣٢) أى ان اكثر

واحتمال الأذى ورؤية جانيه * غداء تضوى به الاجسام (١٣٣)

وأحلم عن خلى وأعلم أنى * متى أجزه حلماً عن الجهل يحلم (١٣٤)

وإذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بأنى كامل (١٣٥)

وإذا الحلم لم يكن فى طباع * لم يحلم تقادم الميلاد (١٣٦)

وإذا الرماح شغلن مهجة نائر * شغلته مهجته عن الاخوان (١٣٧)

وإذا الشيخ قال أف فامل * حياة ولكن الضعف ملأ (١٣٨)

وإذا الفتى طرح الكلام معرضاً * فى مجلس أخذ الكلام اللذعنى (١٣٩)

وإذا سحابة صد حب أبرقت * تركت حلاوة كل حب علقها (١٤٠)

الناس تعبا من ناداك فلم تجبه ، واكثر اعدائك غيظاً من ليس من منزلتك لانه يتميز من الغضب وانت مستريح (١٣٣) تضوى اى تسقم يقول : ان احتمال الأذى والعجز عن قصاص فاعله مجلبة للسقم وسماه غداء لسريانه فى النفس سريان الغذاء فى الجسم (١٣٤) الخل بكسر الخاء الصديق يقول الى اصفح عن ذلة صديقتى لعلمى ان صفحتى عن خطاهه يحمله على الاعتذار واتباع الانصاف معى (١٣٥) الناقص هنا التمام أو المغتاب ولا يكون ذمهما الا عن حسد فاذا ذما احداً فذلك دليل على كماله (١٣٦) يريد بالحلم كمال الأخلاق ويقول اذا لم يكن الكمال من صفات النفس فان كبر السن لا يدعو الى كمالها (١٣٧) الثائر - المطالب بالثار يريد ان طالب الثار اذا وجد اعداءه اقوى منه اشتغل بنجاة نفسه عن ثار أخيه ، لان الحياة أحب الى الانسان من كل محبوب (١٣٨) الشيخ - المسن ، وأف . اتضجر ، يقول اذا رأيت كبير السن يتضجر فليس ذلك كرهاً للحياة فانها لا تمل على اى حال وانما هو تضجر من الضعف (١٣٩) يقول : اذا عرض المتكلم بأمر فى مجلس فالمتصود بهذا التعريض يفهمه قبل سواه (١٤٠) الصد - الهجر والحب بكسر الخاء المحبوب يقول: اذا ظهرت بوادر الهجر من المحبوب جمعات عيش المحب مرأ

- وإذا لم تجد من الناس كفوًّا * ذات خدرٍ تمت الموت بعلا (١٤١)
- وإذا ما خلا الجبان بأرض * طلب الطعن وحده والنزالا (١٤٢)
- وإذا وكلت إلى كريم رأيه * في الجود بان مذيقه من محضه (١٤٣)
- وأسرع مفعولٍ فعلت تغييراً * تكلف شيء في طباعك ضده (١٤٤)
- وإطراق طرف العين ليس بنافع * إذا كان طرف القلب ليس بمطرق (١٤٥)
- وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً * لمن بات في نعمائه يتقلب (١٤٦)
- وأفجع من فقدنا من وجدنا * قبيل الفقد مفقود المشال (١٤٧)
- وأكبر نفسى عن جزاء بغية * وكل اغتيابٍ جهد من لاله جهد (١٤٨)
- والأسى قبل فرقة الروح عجز * والأسى لا يكون بعد الفراق (١٤٩)
- والذل يظهر في الذليل مودة * وأود منه لمن يود الأرقم (١٥٠)

(١٤١) ذات الخدر - المرأة المحتجبة ومراده ذات المجدفانها اذا لم تجد كفوًّا تتزوج منه فانها تفضل الموت لانه أستر لها (١٤٢) مثل يضرب لمن يدعى بما ليس فيه عند من يجهل حقيقة (١٤٣) المذيق - اللبن المخلوط بالماء والمحض - الصرف يقول: ان الكريم بطبعه يمتاز عند العطاء عن يتصنع الكرم (١٤٤) يقول: اذا تظاهر المرء بشيء ليس من طباعه فانه لا يلبث أن يعود الى طبيعه (١٤٥) يقول ان اطراق عين السامع الذى تسدى اليه النصيحة لا يفيد شئاً اذا لم يكن مصغياً لنصيحك بقلبه (١٤٦) يقول ليس فى الناس اكثر ظلاماً ممن يحسد من يحسن اليه ويغمره بخيره (١٤٧) يقول: ان المفقود الذى يؤسف عليه هو الذى يقل وجود مثله (١٤٨) يقول لا اسبح لنفسي ان اغتاب من اغتابنى لان الغيبة سلاح العاجز (١٤٩) الاسى - الحزن ، يقول: ان الحزن قبل حدوث الموت عجز عن ضبط النفس وبعد حصول الموت لا محل له (يرى ان العاقل لا يابق به ان يحزن على ميت لأن الكل الى الموت سائرون) (١٥٠) الارقم أخبث الحيات وأشدّها أذى للانسان

والظلم من شيم النفوس فان تجرد * ذا عفةٍ فلعلة لا يظلم (١٥١)

والعيان الجلى يحدث للظـ * ن زوالاً وللرادانتقالاً (١٥٢)

والغنى في يد اللئيم قبيح * مثل قبح الكريم في الاملاق (١٥٣)

والقلب لا ينشق عما تحته * حتى تحل به لك الشحنة (١٥٤)

والهم يخترم الجسم نحافةً * ويشيب ناصية الصبي ويهرم (١٥٥)

وأنا الذي أجتلب المنية طرفه * فمن المطالب والقتيل القاتل (١٥٦)

وان الجرح ينفر بعد حين * اذا كان البناء على فساد (١٥٧)

يقول : ان الدليل يظهر لك المودة خوفاً منك او ابتغاء خيرك وهو في نفسه اعدى لك من الأرقم

(١٥١) الشيمة : الطبع والعفة هنا تجنب الأذى . يقول : قد طبع الانسان على حب الظلم والتسلط على من هو دونه من الناس والكائنات فاذا وجدت من يكف جوارحه عن الاذى فاعلم أن ذلك لعله خفيت عنك كالعجز والجن أو رادع من الدين (١٥٢) العيان الجلى ماتراه العين واضحاً . يريد أن الظن لا يغنى عن الحق شيئاً (١٥٣) اللئيم - البخيل والاملاق - الفقير يقول ان الغنى في البخيل مضر بالناس لانه يحبس المال عن أوجه المنفعة كذلك فقر الكريم مضر بهم لانه لو كان ذا مال لآعان به المحتاج وأنفقه في سبيل الخير العام (١٥٤) الشحنة - البغضاء يقول : إن قلوب الناس ملامى من الشر على بعضهم ولكن لا يظهر ذلك الا عند التباغض فيأخذ كل من المشاحنين في عد مساوى أخيه التي يعامها وفي الحديث (لو تكاشفتهم ماتدافنتم) أى لو اطلعت على قلوب بعضهم بعضاً لوجدتم فيها ما تكرر هون فيمتنع الحى منكم عن دفن الميت لما يرى في قلبه من الكراهة له (١٥٥) يقول أن الهم ينحل الجسم ويشيب الطفل ويضعفه (١٥٦) يقول : أنا الجانى على نفسى فلا تطالبوا بدمى أحداً مغزاه : ان المقصر لا يلوم من الانفسه (١٥٧) ينفر - يظهر ما اجتمع فيه من صديد يقول : إذا ختم الجرح قبل تمام نظافته فان الصديد يجتمع بداخله ثم يظهر فجأة : يريد

وان بذل الانسان لى جود عابسٍ * جزيت بجود الباذل المتبسم (١٥٨)

وان كان ذنبى كىل ذنبٍ فانه * محام الذنب كىل المحوم من جاء تائباً (١٥٩)

وانفس ما للفتى ليه * وذو اللب يكره انفاقه (١٦٠)

وانما نحن فى جيلٍ سواسيةٍ * شرٌّ على الحر من سقيم على بدن (١٦١)

وبضدها تتبين الأشياء (١٦٢)

وجائزة دعوى المحبة والهوى * وان كان لا يخفى كلام المنافق (١٦٣)

وجرم جره سفهاء قومٍ * فحل بغير جارمه العقاب (١٦٤)

وربما فارق الانسان مهجته * يوم الوغى غير قال خشية العار (١٦٥)

وشر الحمامين الزوامين عيشةٍ * يذل الذى يختارها ويضام (١٦٦)

أن الصلح على الضغن لا يدوم طويلاً (١٥٨) يقول: إذا قابنى المرء عابساً قابلتته باسمماً لأن ذلك يحسم الشر (١٥٩) يريد أن التوبة والاعتراف بالذنب بين الاخوان يكفیان لمحوه بالصفح (أو تخفيف العتاب) (١٦٠) اللب العقل - قال المتنبي: هذا المثل حين عرض عليه الشراب . يريد ليس عندى أنفس من عقلى وأكره أن يذهب هذا النفيس (١٦١) يقول أن الناس متشابهون فى الأذى وكل منهم يريد اساءة الآخر والحر الكريم معذب بينهم لأنه يمتت الشر وهو مخوف به (١٦٢) تتبين أى تظهر فلا يعرف فضل الصيحة إلا المريض ولا يعرف فضل الراحة إلا من أنهكه التعب (١٦٣) كل امرىء يجوز له أن بدعى صحبتك والاخلاص لك ولكن كلام المنافق لا يخفى عليك لأن أفعاله تظهرها المعاماة مخالفة لقوله (١٦٤) الجرم - الذنب ، والسفهاء - الجهلاء أى ورب ذنب فعليه بعض السفهاء فعوقب بسببه كثير من الابرياء (١٦٥) سبق فسر هذا البيت فى الصحيفة ثمرة ٦٢ (١٦٦) الحمام بكسر الحاء - الموت ، الزوام - البشع الكريه يقول: إن الموت موتتان أشهرها الحياة مع الذل وقد عددها موتاً لأنها موت لنفس الحرية (يفضل بذاك موته عزيزاً عن أن يعيش ذليلاً)

وشبه الشيء منجذب اليه * وأشبهنا بدنيانا الطغام (١٦٧)

وشر ما قنصته راحتي قنص * شهب البزاة سواء فيه والرخم (١٦٨)

وفي تعب من يحسد الشمس ضوءها * ويجهد أن يأتي لها بضرب (١٦٩)

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه * ومر كوبرجلاه والنعل جلده (١٧٠)

وقد أراني الشباب الروح في بدني * وقد أراني المشيب الروح في بدلي (١٧١)

وقد فارق الناس الاحبة قبلنا * وأعيا دواء الموت كل طيب (١٧٢)

وقد يتزيا بالهوى غير أهله * ويصطحب الانسان من لا يلائمه (١٧٣)

وقنعت باللقيا وأول نظرة * إن القليل من الحبيب كثير (١٧٤)

وكثير من السلام اشتياق * وكثير من رده تعليل (١٧٥)

(١٦٧) يقول : إن الدنيا لا قيمة لها كذلك محبوبها لا قيمة لهم لانهم أشباهها والأشياء المتجانسه يجذب بعضها بعضاً (١٦٨) البزاة - جمع باز وهو طائر من الجوارح ، والأشهب - الذي يخالط جناحيه بياض ، الرخم - طائر ضعيف ، القنص الصيد يقول : إن شر ما أصطاده ما يستوى في صيده الباز والرخم أي في تناول القوى والضعيف ، يريد أنه لا فضل له إلا بفعل ما يعجز عنه كثير من الناس (١٦٩) مغزاه : إن من يحسد امرءاً يعجز عن مثل حاله يطول تعبته : والضرب - الشبيه (١٧٠) يقول : إن من الناس من يقنع بالقليل إذا كان في حصوله على الكثير مذلة لنفسه (١٧١) يقول : إن الشباب أراني روحى في جسدى لقوتى ونشاطى ولكن مشيبي أراني تلك الروح في غيرى لضعف قوتى وذلك لان الروح لا يعترىها الكبر كما يعترى الجسم (١٧٢) يعنى أن فراق الاحبة لم يكن حادثاً بل هو من بدء الخبايقة ، وعجز الاطباء كلهم عن ايجاد دواء يمنع الموت فعلام الحزن والامر لا بد واقع (١٧٣) يقول : إن كثيراً من الناس ظاهره خلاف باطنه وذلك يؤدى إلى اختلاط الكريم بالئيم (١٧٤) يقول : إن أقل عطف من الصديق يكفى لانه عن إخلاص (١٧٥) يقول : كثير من الناس من يسأل عن حال صديقه للتلذذ بكلامه

- وكل امرئ يولى الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب (١٧٦)
- وكل شجاعة فى المرء تغنى * ولا مثل الشجاعة فى الحكيم (١٧٧)
- وكل طريق أتاه الفتى * على قدر الرجل فيه الخطى (١٧٨)
- وكل يرى طرق الشجاعة والندى * ولكن طبع النفس للنفس قائد (١٧٩)
- وكم ذنب مولده دلال * وكم بعد مولده اقتراب (١٨٠)
- وكننت قبيل الموت أستعظم النوى * فقد صارت الصغرى التى كانت العظمى (١٨١)
- وكن على حذر للناس تستره * ولا يغرك منهم ثغر مبتسم (١٨٢)
- ولا تطمعن من حاسد فى مودة * وإن كنت تبديها له وتنبيل (١٨٣)
- ولا ذكرت جميلا من صنائعها * إلا بكيت «ولا ود بلا سبب» (١٨٤)

لا لجهله بحاله ويكون جوابه تطيباً لنفسه (١٧٦) يقول : كل من يفعل الجميل يحبه الناس ، وكل منزل يمز سكانه تطيب فيه الإقامة (١٧٧) الشجعان متفاوتون فى الشجاعة وان كانت كلها نافعة ، إلا أنها فى الحكيم الذى يضع الشئ فى محله أكثر فائدة لأن النصر وسلامة الجيش متوقفان على شجاعة القائد الحكيم

(١٧٨) يقول : إن كل أمرهم به المرء يكون نجاحه فيه بقدر همته

(١٧٩) يقول : إن كل إنسان يتمنى أن يكون شجاعاً و كريماً ولكن طبعه يغلبه على تمنيه (١٨٠) يقول كثيراً ما يجرد الدلال إلى العداوة والاختلاط إلى التباعده .

(١٨١) يقول : كنت قبل موت صديقى أجد بعده أمراً عظيماً ، فلما مات صار البعد سهلاً لأن البعيد الحى يرجى لقاءه بخلاف الميت (١٨٢) يقول : لا تستسلم

للناس ، بل احذرهم ولا يغرك الابتسام منهم فبذلك تسلم من أذى الأعداء ويدوم لك و داد المحبين (١٨٣) لا تطمع من حسودك بمحبة ولو اظهرت له مثامها ، لأنه يكره دوام النعمة عليك (١٨٤) الصنائع - عمل المعروف يقول : كلما ذكرت

معروفها ابكى لأن لكل محبة سبباً وأمتن أسبابها اسداء المعروف

ولا تشك إلى خلق فتشمته * شكوى الجريح إلى الغربان والرخم (١٨٥)

ولذيد الحياة أنفس للنفس وأشهى من أن تمل وأحلى (١٨٦)

ولربما طعن الفتي أقرانه * بالرأى قبل تطاعن الأقران (١٨٧)

ولست أبالي بعد إدراكى المنى * أكان تراثاً تناولت أم كسبا (١٨٨)

ولست بقانع من كل فضل * بأن أعزى إلى جد همام (١٨٩)

ولكن الغيوث إذا توات * بأرض مسافر كره الغماما (١٩٠)

ولكن إذا لم يحمل القاب كفه * على حاله لم تحمل الكف ساعد (١٩١)

ولكن ربما خفى الصواب (١٩٢)

ولكن صدم الشر بالشر أحزم (١٩٣)

(١٨٥) يقول: لا تشك مصيبتك إلى الخلق فيشمتون بك بل اشكها إلى الخالق فهو الذى يكشف

كربك، أما شكواك للناس فهى كشكوى جريح الحرب إلى الغربان والرخم—وهى من

الطيور التى تأكل من لحوم القتلى—فتد لها بالشكوى لها على عجزك عن مقاومتها فتأكلك

(١٨٦) يقول: إن الحياة لا تمل أبداً (١٨٧) الأقران—الأبطال واحدها قرن

بكسر القاف يقول: قد يدبر القائد بحسن رأيه مكيده لعدوه فيشتت شمله قبل أن

يحاربه (١٨٨) يقول: أنا أسعى لنيل المجد فاذا بانته لا أبالي إن كنت ابن ماجد

أو كنت مجدى بيدى (١٨٩) يقول: لا اكتفى بأن أكون ابن شريف بل

يجب على أن أشرف نفسى بفعلى أيضا (١٩٠) الغمام—السحاب الممطر، الغيث—

المطر ومع أن المطر يتمناه الناس الذين يزرعون أرضهم—فإن المسافر يكره توالى

نزوله لأنه يعوقه عن غرضه يقول: كل شىء يحول بين المرء وقصده يكره عادة ولو كان

فى ذاته محبوباً (١٩١) يريد: أن القاب مصدر الشجاعة فاذا ثبت القاب تمكن الساعد

من ثبات الكف وتمكن الكف من حمل السيف (١٩٢) يقول: قد يخفى الصواب

على الألسان ولا يظهره إلا التمحيص (١٩٣) يريد بصدم الشر: مقاومته بشر

مثله فيكون ذلك من الحزم، ومن ذلك إقامة الحدود

ولكن ضاق فترُّ عن مسير (١٩٤)

وللترك للاحسان خير لمحسن * إذا جعل الاحسان غير ريب (١٩٥)

وللسر منى موضع لا يناله * نديم ولا يفضى اليه شراب (١٩٦)

ولم أرج إلا أهل ذاك ومن يرد * مواطر من غير السحائب يظلم (١٩٧)

ولم يسلمها إلا المنايا وإنما * أشد من السقم الذى أذهب السقما (١٩٨)

وللنفس أخلاق تدل على الفتى * أكان سخاء ما أتى أم تساخيا (١٩٩)

ولو لم يعمل إلا ذو محل * تعالى الجيش وانحط القتام (٢٠٠)

ولو جاز الخلود خلدت فرداً * « ولكن ليس للدنيا خليل » (٢٠١)

ولولا أيادي الدهر للجمع بيننا * غفلنا فلم نشعر له بذنوب (٢٠٢)

و للواجد المكروب من زفراته * سكون عزاء أو سكون لغوب (٢٠٣)

(١٩٤) الفتر - المدى ما بين رأسى الابهام والسبابة، مغزاه : أن الفكر الضيق لا يساعد على البحث (١٩٥) ريب - بمعنى كامل يقول إذا كان الاحسان غير كامل فالأولى تركه ونقص الاحسان أن تتبعه بمن أو تشهير « يأبها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والاذى » الآية (١٩٦) يقول : أنا لأبوح بسرى لصديتى ولا أشرب فيكشفه له الشراب (١٩٧) يريد أن من يطالب الخير من غير أهله يعود بالحرمان (١٩٨) يسلمها - أى لم يردّها إلى رغد العيش والأمن الا قتل زعمائها الذين حركوها بالفتنة والعصيان فشفيت من داء بداء أشد منه (١٩٩) يقول : إن أخلاق الانسان تدل على فعليه إن كان سجيّة أو تصنعاً (٢٠٠) يقول : اذا كان لا يعملو عادة إلا المستحق لسكان الجيش أعلام الغبار الذى يشيره مغزاه : قد يرتفع بعض السفاهة فلا يعد ذلك شرفاً لانفسهم (٢٠١) يقول : ليس للدنيا خليل تحتفظ به بل (كل من عاينها فان) (٢٠٢) أى لولا أن الدهر يجمع بيننا ما كنا نشعر بألم التفرق لأن الانسان لا يأسف إلا على ما كان له ثم فاتته (٢٠٣) الواجد - الحزين ؛ الزفرات - تصعيد النفس مرة بعد مرة ؛ يقول : ان الحزين له من الزفرات سكون تأيس أو سكون عجز وتعب

- ولم تزل قلة الانصاف قاطعة * بين الانام وإن كانوا ذوى رحم (٢٠٤)
- وليس يصح في الاذهان شيء * إذا احتاج النهار إلى دليل (٢٠٥)
- وليس حياء الذئب شيمة * ولكن من شيمة الأسد الورد (٢٠٦)
- وليس الذى يتبع الوبل رائداً * كمن جاءه فى داره رائد الوبل (٢٠٧)
- وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير نخر للهِلال (٢٠٨)
- وما الجمع بين الماء والنار فى يدى * بأصعب من أن اجمع الجد والفهما (٢٠٩)
- وما الحسن فى وجه الفتى شرفاً له * إذالم يكن فى فعله والخلائق (٢١٠)
- وما الخوف إلا ما تخوفه الفتى * ولا الأمان إلا مارآه الفتى أمنا (٢١١)
- وما الدهر أهل أن تؤمل عنده * حياة وأن تشتاق فيه الى النسل (٢١٢)

(٢٠٤) الرحم بكسر الحاء - القرابة، يقول : ان قلة الانصاف تفرق بين الأسرة الواحدة فكيف بها اذا كانت من الغرباء (٢٠٥) مغزاه : إن المجادلة لا تليق بعد وضوح الحقيقة (٢٠٦) الشيمة - الطبيعة ، يقول : ان الذئب لا يستحي عادة وإنما يستحي الأسد وأراد بحياء الذئب سكونه ، لان الذئب إذا رأى الانسان كشر عن أنيابه وهاج ، والأسد ليس كذلك ، بل ينظر اليه متأملاً ومغزاه : إن العفة لا تكون عادة فى سفلة الناس بل فى أكابرهم (٢٠٧) الوبل - المطر ، الرائد - الباحث ، يقول : شتان بين من يبحث وراء الخير وبين من يسعى الخير اليه (٢٠٨) مغزاه : أن الاسماء قد لا تدل على شرف المسمى فقد يسمى قبيح الوجه حسناً (٢٠٩) الجد - الحظ ، الفهم - الذكاء يقول : قلما يجتمع الحظ والذكاء فى واحد « ذكاء المرء محسوب عليه » (٢١٠) يقول : إن مجرد حسن الوجه لا يشرف صاحبه ، بل يشرفه حسن طبعه وفعله (٢١١) يقول : انت الذى تخيف نفسك اذ ليس فى الواقع شيء يخيف مثال ذلك : ان بعض الناس يهرب خوفاً من الثعبان ، وبعضهم يحتال عليه فيمسكه ، ومنهم من يخاف من المشى فى الظلام ، ومنهم من لا يبالي به « يحثك على على الاقدام فى جميع أمورك » (٢١٢) مغزاه : إن الحياة ما لها الموت وان الولد قد يتعب فعش راضياً متوكلاً مسالماً للناس حتى تنقضى هذه الايام القلائل

- وما الصارم الهندي إلا كغيره * إذا لم يفارقه النجاد وعمده (٢١٣)
- وما العشق إلا غرّة وطاعة * يعرض قلب نفسه فيصاب (٢١٤)
- وما الكرم الطريف وان تقوى * بمنتصف من الكرم التلاد (٢١٥)
- وما الموت إلا سارق دق شخصه * يصول بلا كف ويسعى بلا رجل (٢١٦)
- وما أنا ممن يدعى الشوق قلبه * ويحتج في ترك الزيارة بالشغل (٢١٧)
- وما انتفاع أخى الدنيا بناظره * إذا استوت عنده الانوار والظلم (٢١٨)
- وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا * إذا لم يكن فوق الكرام كرام (٢١٩)
- وما ثناك كلام الناس عن كرم * ومن يسد طريق العارض الهطل (٢٢٠)
- وما خضبّ الناس البياض لانه * قبيح ولكن أحسن الشعر فاحمه (٢٢١)

(٢١٣) يقول : ان السيف الهندي وهو من السيوف الجيدة يكون كغيره من السلاح إلا اذا أخرج من قرابه واستعمل فثمة يمتاز بجودة حده : « يثناك على الظهور بين الناس بما أوتيت من مواهب » (٢١٤) مغزاة ان العشق مبدؤه الغرور والطمع . يتعرض له القاب فيصاب بالتعب فاذا صفي أضنى واذا تكدر أفسد الاخلاق « من أجل هذا منع العرب زواج العاشقين » (٢١٥) الطريف - الحديث ، التلاد - القديم مغزاه : ان محدث النعمة ولو كثر ماله فلا يعادل العريق في المجد والخير . (٢١٦) دق : خفي — يريد أن الموت يغتال الاحياء اغتيالاً . (٢١٧) مغزاة : ان المحب الصادق لا يشغله عن صديقه شيء (٢١٨) يريد : ان العين التي تساب منها قوة الابصار لا تفيد صاحبها — ومغزاه : ان الانسان العاقل إذا لم يبعده عقله عن الشر ويميل به إلى الخير فلا فائدة له به (٢١٩) مغزاة : ان العدة . وحدها لا تنفي بالمراد ، بل لا بد لها من العقل المدبر . (٢٢٠) يقول : ان العارف بالفضيلة لا يسمع فيها تأنيب جاهل بها — ثناك — أرجعك : العارض الهطل — المطر الغزير (٢٢١) الخضاب : تغطية الشيب بالأدهان ليصير أسود ، يقول : ان اللون الابيض لا يكره عادة ، وإن الذين يسترون الشيب براعون حسن السواد في هذا الموضع فقط

وما صباية مشتاقٍ على أمل * من اللقاء كمشاق بلا أمل (٢٢٢)

وما عاقى غير قول الوشاة * وإن الوشايات طرق الكذب (٢٢٣)

وما قتل الأحرار كالغفو عنهم * ومن لك بالحر الذي يحفظ اليد (٢٢٤)

وما كمد الحساد شيء قصده * ولكنه من يزحم البحر يغرق (٢٢٥)

وما كلُّ بمعدورٍ يبخل * ولا كل على بخل يلام (٢٢٦)

وما كل سيف يقطع الهام حده (٢٢٧)

وما كل من قال قولاً ونى * ولا كل من سيم خسفاً أبى (٢٢٨)

وما كل هاوٍ للجميل بفاعلٍ * ولا كل فعال له بتمتم (٢٢٩)

وما ينصر الفضل المبين على العدا * إذا لم يكن فعل السعيد الموفق (٢٣٠)

لأنه من مظاهر الشباب (٢٢٢) الصباية - الحب ، يقول : إن محبة من يأمل لقاء من أحب لا تضنى كما تضنى محبة من يرى ذلك محالاً مغزاه إن شغل النفس بما يصعب نواله يورث التعب ولا يبلغ الأرب . (٢٢٣) يقول : إن الواشي كاذب عادة ، ومع ذلك فإن وشايته تؤثر بين الصديقين ، ينهى عن استماع الوشاية وهي : إحداث الفتنة بين الأصدقاء بنقل الأخبار المكذوبة عن بعضهم لبعض . (٢٢٤) يقول : إذا أقات الحر من خطيئته ما كت رقه ، لأنه يحفظ الجليل ، اليد هنا : عمل المعروف (٢٢٥) يقول : لم أتعمد كمد حسادي بمواقفته فيهم وليكنهم تعرضوا لي فأذيتهم ، فتأثم كمثل من يزاحم التيار في البحر فإنه لا يسلم من الغرق . (٢٢٦) مغزاه : إن الذي له مال يزيد عن حاجته لا يعذر على البخل بخلاف المقل فإنه إذا قصر لا يلام . (٢٢٧) مغزاه : ليس كل الرجال ينطبق عليهم معنى الرجل الكامل ، والفرق بينهم كالفرق بين السيوف ، فأنها متحدة أسماء ، مختلفة مضاء (٢٢٨) ونى في الأمر : ضعف وسيم خسفاً : أى ألحق به الذل يقول : ليس كل من قال قولاً رجع عنه ، ولا كل من أريد ذله دافع عن شرفه (٢٢٩) يريد أن كثيراً من الناس يقول ولا يفعل وإن منهم من يشرع في الخير ويعجز عن المضي في إتمامه . (٢٣٠) يريد أن التوفيق إذا صادف ذا الحاجة كان فوزه تاماً ، وإلا فلا .

وما يوجع الحرمان من كف حارم * كما يوجع الحرمان من كف رازق (٢٣١)

ومخطيء من رميته القمر (٢٣٢)

ومن البلية عدل من لا يرعوى * عن جهله وخطاب من لا يفهم (٢٣٣)

ومن الرشدم أزر ك علي القر * ب علي البعد يعرف الامام (٢٣٤)

ومن العداوة ما ينالك نفعه * ومن الصداقة ما يضر ويؤلم (٢٣٥)

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدواً له ما من صداقته بد (٢٣٦)

ومن أمر الحصون فما عصته * أطاعته الحزونة والسهولة (٢٣٧)

ومن تكن الأسد الضواري جدوده * يكن ليله صبيحاً ومطعمه غصبا (٢٣٨)

ومن جهلت نفسه قدره * رأى غيره منه ما لا يرى (٢٣٩)

(٢٣١) مغزاه : إن من لم يعتد إيصال خيره إليك لا يضر ك بخله ، ولكن الذي تعودته إذا منعه عنك كان ذلك أليماً وحسرة (٢٣٢) رميه : أي هدف سهامه مغزاه : إن تعرض الحقيير للعظيم خطأ منه لعجزه عن مجاراة خصمه في القوه (٢٣٣) يرعوى : يعود إلى رشده ، العدل - التأنيب . مغزاه : إن النصيحة تتعب الناصح إذا كانت لمن لا يميل إلى سماعها وهي أشبه بخطاب من لا يفهم ما تقول . (٢٣٤) الامام - التودد يقول : إن قصرت في زيارتك وانت قريب مني لا أعد مقصراً ، لأنني على علم بأحوالك ، أما إذا بعدت عني فهناك يجب على زيارتك والتودد إليك (٢٣٥) يقول : إن من العداوة ما يعود عليك بالفائدة ، لأنها تعاملك الاحتراس والتأهب لدفع عدوك كما أن الصداقة قد تضر ك ، لأنها تحملك على المسالمة والتراخي فاذا فوجئت بشر عجزت عن دفعه . (٢٣٦) كالرئيس الأئيم . (٢٣٧) الحصون - أمكنة منيعة يحتتمى بها الجيش المدافع عن نفسه ووطنه ، فالقائد الذي يستطيع الحصول عليها وإخضاعها لا يصعب عليه إخضاع عدوه في السهل والجبل . مغزاه : إن من يقدر على عظام الأمور لا يعجزه حقيرها . (٢٣٨) الأسد الضواري - أي السباع المفترسة . يريد أن ابن الأسد يعيش كأبيه فهو يطاب رزقه ليلا ويقترب ما يصادفه من الوحش . مغزاه : إن الولد سرأبيه (٢٣٩) يقول : إن المغرور بنفسه لا يستطيع

ومن خبر الغواني فالغواني * ضياء في بواطنه ظلام (٢٤٠)

ومن ركب الثور بعد الجوا * د أنكر أظلافه والغيب (٢٤١)

ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت * على عينه حتى يرى صدقها كذبا (٢٤٢)

ومن طلب الفتح الجليل فانما * مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم (٢٤٣)

ومن لبه مع غيره كيف حاله * ومن سره في جفنه كيف يكتتم؟ (٢٤٤)

ومن لم يعشق الدنيا قليل * ولكن لا سبيل إلى الوصال (٢٤٥)

ومن يجعل الضرغام للصيد بازه * تصيده الضرغام فيمن تصيدا (٢٤٦)

ومن وجد الاحسان قيذاً تقيداً (٢٤٧)

معرفة عيوبه كما يعرفها الناس من تقدم أحواله . (٢٤٠) الغواني - النساء الحسان ؛ يريد ان ظاهرهن جمال للعين وحبهن تعب للقلب . (٢٤١) الاظلاف من البقر كالحافر من الفرس ، الغيب - الاعمى المتدلى تحت عنق الثور يقول : ان من اعتاد ركوب الخيل اذا ركب ثوراً لا يسره منظر اظلافه وعنقه ، مغزاه : ان من يعاشر جاهلاً بعد صحبة فاضل لا يسترىح لطباعه (٢٤٢) يقول : ان من طال عمره كثيراً ضعفت قوة التمييز فيه وفي القرآن «ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً» (٢٤٣) مغزاه : ان من أراد النصر على عدوه فطريقه اليه القوة . (٢٤٤) مغزاه : ان المشغول بشيء لا يرجي نفعه في شيء آخر ، ومن كان ظاهره يدل على حاله فلا يستطيع اخفاء أمره . (٢٤٥) يقول : ان الراغبين في الدنيا كثيرون ولكن الواصلين الى أمنياتهم قليل ما هم . (٢٤٦) الضرغام - الاسد ؛ الباز - طائر من الجوارح اذا تعلم فانه يصيد الطير وياتي به الى صاحبه ، يقول : ان من أراد أن يصطاد بالاسد فان الاسد يفتسه ولهذا المثل وقائع : حجة منها ما يفعله الرجل الذي يريد الهرب من دائنه فيبيع أرضه صورة لرجل آخر ليحصنها من دائنه فيطمع بهاذلك الرجل ويستولى عليها فيضيع ذلك الغبي ما كدمع بقاء الدين في ذمته . (٢٤٧) مغزاه : ان الاحسان يجعل المحسن اليه في خدمة المحسن (يحثك على الاكثار من المعروف مع الناس ليكثر محبوبك .)

ومن يك ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ * يجد مرًّا به الماء الزلالا (٢٤٨)

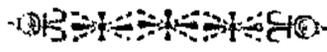
ومن ينفق الساعاتِ في جمعِ ماله * مخافةً فقرٍ فالذي فعل الفقر (٢٤٩)

وهل تغني الرسائل في عدوٍّ * اذا ما لم يكن ظمّي دقاقا؟ (٢٥٠)

وهكذا كنت في أهلي وفي وطني * إن النفيس غريب أينما كانا (٢٥١)

ووجه البحر يعرف من بعيد * إذا يسجو فكيف اذا يموج (٢٥٢)

ويختلف الرزقان والفعل واحد * الى أن ترى احسان هذا اذا ذنبا (٢٥٣)



لا افتخار الا لمن لا يضام (٢٥٤)

لا بد للانسان من ضجعة * لا تقلب المضجع عن جنبه (٢٥٥)

لا تحسبوا من أسرتم كان ذا رمق * فليس تأكل الا الميتة الضبع (٢٥٦)

(٢٤٨) يقول : ان ردىء الطبع لا يروق في نظره طبع أحد سواه . (٢٤٩) يقول : ان البخيل يحرص على جمع المال خيفة الفقر مع أن الذي يفعاله هو عين الفقر ، لانه لا ينتفع بماله لادنيا بالانفاق ولا ديناً بالاحسان فكأنه لا مال عنده (٢٥٠) الظمّي - رؤوس الرماح ويريد بها مطلق السلاح ، ويقول : ان الرسائل والعهود لا تفيد في كف أذى العدو وكبح جماح طمعه ، وانما يفيد في ذلك السلاح الجيد أى القوة الكاملة . (٢٥١) يريد : ان الشئ النفيس قليل المشيل . (٢٥٢) يسجو - أى يسكن يريد : ان البحر لا يخفى مكانه وهو ساكن فكيف إذا هاج ؟ ومغزاه : إن القوى الذى يهاب وقت سلمه كيف لا يخشى منه إذا غضب ؟ (٢٥٣) مغزاه : قد يكون مال زيد كثيراً ومال عمرو قليلا في حين أن سعيهما في الحياة واحد ، فاذا أحسن صاحب الرزق القليل بشئ زهيد عد كريماً ، وإذا أعطى الثانى مثله لامة الناس على الشح لان عطاءه يجب ان يتناسب مع غناه (٢٥٤) يضام - يظلم يريد : أن لا يفخر لمن يقع عليه الظلم ولا يستطيع دفعه (٢٥٥) المضجع : الفرش والضجعة أن يضع المرء جنبه على الارض ، ويريد بها الموت - ويقول : لا بد للانسان من نومة لا حراك معها (٢٥٦) الرمق : الروح ، أى لا تحسبوا من اخذتم كان حيا بل

لا تلق دهرَكَ الا غيرَ مُكثَرٍ * مادام يصحب فيهِ رُوحَكَ البدن (٢٥٧)

لا يخذعكَ من عدو دمعهُ * وارحم شبابكَ من عدو ترخم (٢٥٨)

لا يدرك المجدَ الا سيد فطن * لما يشق على السادات فَعَال (٢٥٩)

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى * حتى يراقَ على جوانبه الدم (٢٦٠)

لا يصدق الوصف حتى يصدق النظر (٢٦١)

لا يعجبنَّ مضيماً حسن بزته * وهل تروق دفيناً جودة الكفن (٢٦٢)

لا تخرج الأقدار عن هالاتها (٢٦٣)



يحب العاقلون على التصافي * وحب الجاهلين على الوسام (٢٦٤)

يا عاذل العاشقين دع فئسهُ * أضلها الله كيف ترشدها ؟ (٢٦٥)

يخفي العداوة وهي غير خفية * نظر العدو بما أسرَّ يبوح (٢٦٦)

كان لجبنه محسوباً من الاموات لذلك استطعتم أخذه فأنتم كالضبع لا تستطيع افتراس الحى — مثل يضرب إذا سلب منك العدو شيئاً. تحقر بذلك جهده وتنفي الشماتة عن نفسك . (٢٥٧) غير مكثرت — أى غير مبالحوادثه ، لان كل صعب يستطيع العاقل أن يدالله بحسن حكمته . (٢٥٨) ينهاك أن يغرك التملق ممن تعتقد عداوته . (٢٥٩) يقول : ان المجد لا يناله الا من يعمل جليل الاعمال التى يعجز عنها غيره . (٢٦٠) الرفيع — العظيم ، ويراق — يسيل ، يقول : لا يسلم من الاذى والذل إلا الشعب القوى (٢٦١) : إنك لا تزال من واصف الشئ لك فى شك حتى تراه بعينك . (٢٦٢) أى ليس للذليل أن يسر بحسن ثيابه ومظهره لأنه ميت حكماً والميت لا تهمة جودة كفته . (٢٦٣) الهالة — الدائرة التى تظهر أحياناً حول القمر يريد : أن ابن الكرام لا يخرج عن طباع ذويه . (٢٦٤) يقول : إن العاقل يحب الرجل لكماله وحسن أخلاقه ، والجاهل ينحصر حبه فى جمال الوجه (٢٦٥) مغزاه : « ومن يضلل الله فما له من هاد » (٢٦٦) يقول : إن العداوة تظهر فى عين العدو ونظراته ، فهما

يدفن بعضنا بعضاً ويمشى * وأخرنا على هام الأوالى (٢٦٧)

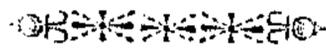
يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل (٢٦٨)

يرد أبو الشبل الخيس عن ابنه * ويسلمه يوم الولادة للنمل (٢٦٩)

يرى الجبناء أن العجز فخر * وتلك سجية الطبع اللئيم (٢٧٠)

يفنى الكلام ولا يحيط بوصفكم * أحيط مايفنى بما لاينفد؟ (٢٧١)

يهون علينا أن تصاب نفوسنا * وتسلم أعراض لنا وعقول (٢٧٢)



الأمثال ذات البيتين

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا (٢٧٣)

حاول سترها تظل ظاهرة للناقد (٢٦٧) يقول : إننا ندفن بعضنا بأيدينا والمتأخر
يمشى على بقايا من مات قباه (٢٦٨) يريد : أن الطبع يغلب التطبع ويقول
طبعت على حبكم فكأما حاولت أن أنتقل إلى نسيانكم يغابنى طبعى على أمرى
(٢٦٩) أبو الشبل - الأسد ، والخيس - الجيش ، الذى يتركب من خمس فرق وهى :
الجناحان ، والقاب ، والمقدمة ، والمؤخرة ، يقول : إن الأسد يهجم على الجيش الكامل
ليرده عن ولده ومع ذلك فإنه لا يستطيع دفع النمل عنه - مثل يضرب لعجز الانسان
فانه وإن قوى على كثير من المخلوقات إلا أنه قد يجد من بين الضعفاء من يغيظه
(٢٧٠) يقول : ان الجبان يفتخر بالعجز لأنه يسلم به من القتل ولكن ذلك من
عادة لئيم الطباع ، لأن الجبن فى الواقع ذل لا يفتخر به . (٢٧١) أى ينتهى
كلامى قبل تعداد صفاتكم التى لا تحصى وقد ألم بهذا المثل بقول أهل السنة
فى ردهم على الدهريين الذين يقولون بعدم نهاية الزمان وأن فى كل إنسان مالا
يتناهى من الناس وهكذا أبد الآبدين ودهر الدهرين فقال أهل السنة ان هذا
غير معقول وكيف يمكن حصر ما لا يتناهى فى المتناهى ؟ (٢٧٢) يريد :
أن الحر العاقل لا يبالى اذا سلم عرضه وعقابه أن تصاب نفسه بالفقر أو أى مصيبة
أخرى ، لان المصائب عوارض قد تنقشع ولكن اذا تلم العرض أو ضعف العقل
فذلك عار دائم (٢٧٣) اذا أحسنت الى كريم النفس والاصل صار تحت أمرك

ووضع الندى في موضع السيف بالعالا

مضر كوضع السيف في موضع الندى (٢٧٤)

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم (٢٧٥)

وعادى محبيه بقول عداته * وأصبح في ليل من الشك مظلم (٢٧٦)

أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه * حريصاً عليها مستهماً بها صباً (٢٧٧)
فحب الجبان النفس أوردته البقا

وحب الشجاع الذكر أوردته الحربا (٢٧٨)

ان السيوف مع الذين قلوبهم * كقلوبهم إذا التقى الجمعان (٢٧٩)

تلقى الحسام على جراءة حده * مثل الجبان بكف كل جبان (٢٨٠)

ذريني أنل مالا ينال من العالا

فصعب العالا في الصعب والسهل في السهل (٢٨١)

أسير كرمك ، ولكن إذا أكرمت لئيم النفس والاصل تمر عليك وشمخ بأنفه فهو كالمجرم الذي وجبت عقوبته إذا أبدلت العقوبة بالاحسان كان ذلك كاقامة الحد على البريء ، (٢٧٤) الندى - العطاء ويريد بالسيف : التأديب أو القصاص (٢٧٥ و ٢٧٦) يقول : ان سىء الفعل يسىء الظن بجميع الناس و ينقاد لوهمه غير باحث وراء الحقائق و يسمع الوشاية التي تسبب العداوة بينه وبين أصدقائه و يلازمه الشك في كل شىء (٢٧٧ ، ٢٧٨) المستهما : الهائم الذي علق قلبه بالشىء ، الصب - مثله ، يريد أن كل انسان علق قلبه بحب الحياة دون غيرها فالجبان أحب نفسه فتعلق بالبقاء فقصر عن اقتحام الخطر والشجاع أحب الذكر الحسن نخاض الحروب ، فاذا سلم قيل شجاع وان قتل بقى ذكره حيا (٢٧٩ ، ٢٨٠) يقول ان حامل السيف اذا كان شجاعا كان سيفه شجاعا مثله يصول به ويقتل عدوه ، واذا كان جباناً كان السيف كالحديدة لانه لا يفعل له بنفسه . مغزاه : ان كل عمل يحتاج الى العقل المدبر (٢٨١ ، ٢٨٢) ذريني - دعيني . انل - أدرك يقول : دعى لومى على المخاطرة في سبيل حصولي

تريدون لقيان المعالي رخيصة * ولا بددون الشهد من أبر النحل (٢٨٢)

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم * ماذا يزيدك فى اقدمك القسم (٢٨٣)

وفى اليمين على مانت واعدته * ما دل انك فى الميعاد متهم (٢٨٤)

فدى الدار أخون من موسى * وأخدع من كفة الحابل (٢٨٥)

تفانى الرجال على جهبا * وما يحصلون على طائل (٢٨٦)

وكم من عائب قولاً صحيحاً * وآفته من الفهم السقيم (٢٨٧)

ولكن تأخذ الآذان منه * على قدر القرائح والفهوم (٢٨٨)

ولما صار وُد الناس خبياً * جزيت على ابتسام بابتسام (٢٨٩)

وصرت أشك فيمن اصطفيه * لعلى أنه بعض الأنام (٢٩٠)

يجنى الغنى للثام لو علموا * ما ليس يجنى عليهم العدم (٢٩١)

هم لأموالهم وليس لهم * والعار يبقى والجرح يلتئم (٢٩٢)

على المجد فان المجد لا ينال بغيرها اتريدون أن أبلغها بلا تعب وانت تعلمين أن العسل مع قرب تناوله محاط بالنحل الذى يلسع من يمد يده اليه (٢٨٣ و ٢٨٤) الوغى - الحرب يقول لا تحلف على أنك ستفعل لان اليمين لا تزيد فى قوتك . بل يفهم منها انك تشك فى نتيجة عمالك ، لانك لا تدري ما خبأه لك القدر (٢٨٥ و ٢٨٦) ذى الدار أى هذه الدنيا والموس معروفه وهى خائنة بطبعها ولا أمان لها وكفة الحابل فخ الصياد يوهم الطير بالحب فيخدع ويقدم لاخذه فيقع يريد: ان هذه الدنيا تفر محبتها ولا تبلغه أمنيته (ينهى عن التكالب عايبها) (٢٨٧ و ٢٨٨) يقول : أن كثيرا من الناس يتعرضون لنقد القول الصحيح مع ضعف فهمهم له لان الآذان تأخذ من القول بقدر استعداد قرائح أصحابها (٢٨٩ و ٢٩٠) الخب - المنسود يقول : لما فسدت محبة الناس صرت ابتسم لمن يبتسم لى وقابى مقطب له وصرت أشك فى صديقى الذى اخترته لانه من الناس وليس فيهم من يخالص محبته (١٩١ و ١٩٢) يجنى - أى يجاب والعدم - الفقر يقول : ان الغنى يجلب للثام ما ليس

يقتل العاجز الجبان وقد * يعجز عن قطع بخنق المولود (٢٩٣)
ويوقى الفتى الخش وقد خو * ض في ماء لبة الصنديد (٢٩٤)
يموت راعي الضأن في جهله * ميتة جالينوس في طبه (٢٩٥)
وربما زاد على عمره * وزاد في الأمن على سربه (٢٩٦)

تمت أمثال المتنبي

يجليه عليهم النقر لانه يظهر بخاهم وتكبرهم ويبين للناس مقابح صفاتهم ويحملهم على ارتكاب المفساد والشور وهم ارقاء لاموالهم وليست هي في الواقع لهم ، وقوله والجرح يلتئم أى منعهم الخير عن راجيه منهم بعد جرحه ولكنه هذا الجرح قريب الشفاء بخلاف ما ياحقهم من العار فانه دائم (٢٩٣ و ٢٩٤) البخنق خيط القلادة يقول : ان الجبان الذى يعجز عن قطع قلادة الطفل لايحميه جنبه من القتل (ومراد الموت) بل ياحقه اينما كان والخش - الجرىء ، والابة - الصدر، والصنديد - الشجاع يقول : وقد ينجو من القتل الشجاع الجرىء وقد لوث بدماء الابطال من شدة القتال (مغزاه : ان خوف الموت لا يعصم منه) (٢٩٥ و ٢٩٦) يريد ان الراعى الذى لا يتوقى الأمراض عادة يموت كما مات جالينوس الطبيب اليونانى الشهير (وقصده الطبيب من حيث هو) مغزاه : ان الموت لا يدفعه عن المرء دافع ويقول وربما عاش هذا الجاهل اكثر مما يعيشه الطبيب وفي صحة أحسن من صحته والله اعلم

وَطَعُ نَحْوًا مِنْ شِعْرِ الْمُتَنَبِّيِّ

شعر أبي الطيب كطبق الحلوى من أي نواحيه ذقته وجدته لذيذا . ولا يحق لي أن أقول اخترت منه كذا الا على حد قولهم « من أخصب تخير » وإنما يختار المرء من الشيء أنفسه ، وكل شعر المتنبي نفيس :
إذا قلت اختار النفيس فكله * نفيس وفيه ناقد الحسن يختار
كحبات درّ نظمت فتشابهت * فما ثم الا ذو بهاء ومختار
وقد اخترت منه لهذا الكتاب عائفة مما يعذب لفظه ، ويسهل حفظه ،
من الغزل والمدح والثناء ، وضروب شتى ، فكان كبقاقة من روض زهر ،
أو حفنة من بحر درر ، جعلتها تحفة لطلاب الآداب ، وخاتمة مسكية لهذا
الكتاب .

الغزل المختار من شعر المتنبي

بدأت بالغزل لأنه يقع عادة في ديباجة القصيد ، أما صدور الغزل من
المتنبي فغريب في ذاته ، لأن كبرياء أبي الطيب اقتضت عفته ، ومقته الراح
أقام الحرب العوان بينه وبين الحسان فلم يبق فيه من بواعث الغزل من سبب
غير صناعة الأدب . ولولا ما تبعه الشعراء من التشبيب في افتتاح قصائد
المدح لما رأيت للمتنبي في ذلك بيتاً واحداً ، اللهم الا ما قاله في ابان شبابه
مجاراة لأترابه ،

وقد وافق المتنبي الشعراء في هذه الخطة مدة ثم بان عنها متنصلاً منها ساخطاً
عليها ، وبين سبب تركها في قصيدة مدح بها سيف الدولة فقال في مطلعها :
إذا كان مدح فالنسيب المقدم * أكل فصيح قال شعراً متميم ؟
لحب بن عبد الله أولى فانه * به يبدأ الذكر الجميل ويختم

ولم يكتف بهذا الانسحاب ، بل خشى أن يحسبه الناس صادقاً فيما قاله
قبل ذلك من التشبيب ، فأخذ يدفع عن نفسه الظن بدم العشق والعشاق بقوله :
وما العشق الا غرة وطاعة * يعرض قلب نفسه فيصاب (١)
وغير فؤأدى للغواني رمية * وغير بناني للزجاج ركاب (٢)
تركنا لأطراف القنا كل شهوة * فليس لنا الا بهن لعاب (٣)
بعد هذا سار به خياله الى الامام . كما هي عادته في خواطره ، فأعلن الحرب
جهرأ على الغرام ، وحمل حملة شعواء على الأحباب فقال في ذمهم غير هيباب :
مما أضر بأهل العشق أنهم * هووا وما عرفوا الدنيا وما فطنوا (٤)
تفنى عيونهم دمعاً وأنفسهم * في أثر كل قبيح وجهه حسن (٥)
تحملوا حملتكم كل ناجية * فكل بين على اليوم مؤتمن (٦)
مافي هو ادجكم عن مهجتي عوض * ان مت شوقاً ولا فيها لهاثمن (٧)
من هذا يظهر لك أن غزل المتنبي لم ينشأ عن هزة الطرب ، ولكن عبقريته
التي ذلت له المعاني ، وأخضعت الألفاظ لأرادته مكنته من أن يصوغها
كيف يشاء ، ويرصع بها أى موضوع شاء ، فيسحرك غزله بروعة الفن وبهاء
المظهر ، فتحسبه مبعوثاً بعاطفة الحب مع بعدمصدره في الواقع عن حبة القلب.

(١) الغرة - الغرور والاقدام بالنفس على الخطر - يريد أن القلب يتعرض
للعشق فيوقع صاحبه في خطره (٢) الغواني - جمع غانية ، وهي الحسناء التي يغنيها جمالها
عن التجميل ، ورمية . هدف لرمى النبال ، البنان - أطراف الأصابع - يقول :
حفظت قلبي فلم أجعله هدفاً للغانيات وحفظت يدي عن حمل كؤوس الشراب
(٣) يقول : لشغفنا بالرماح تركنا كل شهوة سواها فلا نلاعب غيرها (٤) هووا
أى عشقوا لجهاهم بالحقائق (٥) يقول : تفنى عيونهم من كثرة البكاء وأنفسهم
تظل هائمة وراء كل قبيح الصفات حسن المنظر (٦) تحملوا : فعل أمر أى اذهبوا
من أمامي ، الناجية : الناقة السريعة سميت ناجية تهاؤلاً بأن راكبها ينجو عايتها
لسرعته ، والبين - الفراق يريد : انه أصبح لا يبالي ببعد أحد عنه (٧) الهوادج
جمع هودج وهو محمل للنساء يوضع فوق الجمال ، والمهجة - الروح يقول : إذا
تلفت روحى عليكم فليس لى فيكم عوض عنها ولا ما يساويها

وقد وضعت لكل قطعة من الغزل عنواناً يناسبها ، لتعلق وقت الحفظ بالذاكرة ، ويسبق اليها الفكر وقت المذاكرة .

السرا المكشوف

كتمت حبك حتى عنك تكرمه * ثم استوى فيه اسراري وإعلاني
كأنه زاد حتى فاض عن جسدي * فصار سقمي به في جسم كتماني

الرجوع الى الحق

- أرق على أرق ومثلي يارق * وجوى يزيد وعبرة تترقرق (١)
جهد الصباية أن تكون كما أرى * عين مسهدة وقلب يخفق
ما لاح برق أو ترنم طائر * إلا اثنتي ولي فؤاد شيق (٢)
جربت من نار الهوى ما تنظني * نار الغضى وتكل عما يحرق (٣)
وعذلت أهل العشق حتى ذقته * فمجهت كيف يموت من لا يعشق
وعذرتهم وعرفت ذنبي أنني * غيرتهم فلقيت منه ما لقوا

النذير

- عزيزاً من دأؤه الحدق النجل * عيائه به مات المحبون من قبل (٤)
فمن شاء فلينظر إلى فاني * نذير إلى من ظن أن الهوى سهل
وما هي إلا لحظة بعد لحظة * إذا نزلت في قلبه رحل العقل
جري حيا مجرى دمي في مفاصلي * فأصبح لي عن كل شغل بها شغل
تجاهل العارف

- إن التي سفكت دمي بحفونها * لم تدر أن دمي الذي تتقلد (٥)

(١) الأرق - السهر ، والجوى : حرقه القلب من عشق أو حزن ، والعبرة الدموع وتترقرق تسيل . (٢) ترنم - غنى شيق - مشتاق . (٣) الغضى شجر إذا حرق بقيت ناره طويلاً . يقول : إن جمر الغضى يقصر عما انفعاها نار قباي (٤) العزيز - النادر الوجود والأسى الدواء ، والحدق النجل العيون الواسعة والعياء - الداء العضال يقول إن مريض العيون الواسعة قاما يشي (٥) تتقلد أي يبتى في عنقها كالتلافة (ذنبه في رقبتها) (٧ - أمثال المتنبي)

قالت وقدرأت اصفرارى مَنْ به * وتنهدت فأجبتها المتنهّد (١)

ففضت وقد صبغ الحياء بياضها * لوني كما صبغ اللجين العسجد (٢)

مصارع العشاق

رأت وجه من أهوى بليل عواذلى * فقلن نرى شمساً وما طلع الفجر

رأين التي للسحر فى لحظاتها * سيوف ظباها من دمي أبدأ حمر (٣)

تناهى سكون الحسن فى حرركاتها * فليس لراءٍ وجهها لم يمت عذر (٤)

الاستفهام

ما باله لاحظته فتضرجت * وجناته وفؤادى المجرّوح ؟ (٥)

ورمى وما رمى يداه فصابنى * سهم يعذب والسهم تريح (٦)

تردد الوجد

أراقت دمي من بى من الوجد ما بها * من الوجد بى والشوق لى ولها حلف (٧)

أكيداً لنا يابن واصلت وصلنا؟ * فلا دارنا تدنو ولا عيشنا يصفو

أردد ويلي لو قضى الويل حاجة * وأكثر لهفى لو شفى غلةً لهف (٨)

اغتنام الفرصة

ولما التقينا والنوى ورقينا * غفولان عثا بت أبكى وتبسم

فلم أر بديراً ضاحكاً قبل وجهها * ولم تر قبلى ميتاً يتكلم

قران فى هالة

(١) يقول : رأت اصفرار وجهى فقالت بمن أصابك هذا ؟ ثم تنهدت فقالت

بمن تنهد أى بك (٢) اللجين - الفضة ، والعسجد - الذهب يقول : لما علمت

بأنى أحبها أصفر وجهها كما تطفى الفضة بالذهب (٣) الظبي بضم الظاء جمع

ظبة - وهى حد السيف. (٤) تناهى سكون الحسن أى انتهى استقراره اليها . (٥)

لاحظته - نظرت اليه وتضرجت - بلابها الدم ، والوجنات : ما برز من الخدين

(٦) يقول عجباً له يجرحنى وتبتل وجنته بالدماء ويرمىنى بسهم فيعذبنى وعادة

السهم أن يميت فيريح القليل . (٧) أراقت - أسالت ، والحالف بكسر الحاء -

الصديق المعاهد . (٨) الالهف - الحسرة ، والغلة - حرارة الجوف من الظمأ

سفرت وبرقعها الفراق بصفرة * سترت محاجرها ولم تك برقعها (١)
فكأنها والدمع يقطر فوقها * ذهب بسمطى لؤلؤ قد رصعا (٢)
نشرت ثلاث ذوائب من شعرها * في ليلة فأرت ليالى أربعا
واستقبات قر السماء بوجهها * فأرتنى القمرين في وقت معا
السبب الصحيح

لبسن الوشى لا متجملات * ولكن كى يصن به الجمالا (٣)
وضفرن الغدائر لا لحسن * ولكن خفن فى الشعر الضلالا
مجتمع الحسن

بدت قرأ وبانت خوط بان * وفاحت عنبراً ورننت غزالا (٤)
وجارت فى الحكومة ثم أبدت * لنا من حسن قامتها اعتدالا
كان الحزن مشغوف بقلبي * فساعته هجرها يجد الوصالا
سؤال ولهان

أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خالقة فى المآقى (٥)
كيف ترثى التى ترى كل جفن * رآها غير جفنها غير راقى (٦)
أنت منا فتنت نفسك لك * نك عوفيت من ضنى واشتياق (٧)

(١) سفرت — كشفت عن وجهها ، المحاجر — ماحول العينين . (٢) السمط — خيط القلادة يقول : كأن سقوط دمعها على خديها بعد اصفرارهما من ألم الفراق ذهب رصع بقلادين من اللؤلؤ (٣) الوشى — الثياب المطرزة يقول : لبسن هذه الثياب المطرزة لا ليظهرن جميلات بل ليشغلن عن جمالهن عين الحاسد بنظره الى الوشى . (٤) الخوط — العصن الناعم ، البان — شجر كثير التمايل مع الهواء لارونته ، رنت غزالا : أى نظرت بعيني غزال . (٥) المآقى : أطراف العين من قبل الأنف وهو مهبط الدمع . يقول : أتظنها لكثرة عشاقها الذين لانواهم الا باكين تحسب الدمع خالقة فى مآقى الناس ؟ (٦) يقول : كيف ترثى وترحم من ترى كل العيون تفيض دمعا غير عينها . (٧) يقول : أنت مثانا لأنك تحبين نفسك كما نحبها لكنك ساءت مما أصابنا

حلت دون المزار فالיום لوزر * ت لحال النحول دون العناق (١)

اليمين الحاسمة

القلب أعلم يا عدول بدائه * وأحق منك بجفنه وبكائه
فو من أحب لأعصينك في الهوى * قسماً به وبحسنه وبهائه
أأحبه وأحب فيه ملامة؟ * ان الملام عليه من أعدائه

ذكرى حبيب

وما شرقى بالمساء الا تذكراً * لماء به أهل الحبيب نزول (٢)

يحرّمه لمع الأسننة فوقه * فليس لظمانٍ اليه وصول (٣)

بيان الفارق

أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وأثنى وبياض الصبح يغري بي (٤)

ما أوجه الحضر المستحسنات به * كأوجه البدويات الرعايب (٥)

حسن الحضارة مجلوبٌ بتطرية * وفي البداوة حسن غير مجلوب (٦)

أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها * مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب (٧)

الاقرار

وأنا الذي اجتلب المنية طرفه * فمن المطالبُ والقَتيلُ القاتل؟ (٨)

شهود الحال

وجلا الوداع من الحبيب محاسناً * حسن العزاء وقد جلين قبيح (٩)

من الضنى. (١) المزار - الزيارة ، يقول: منعت عنا زيارتك فأضننا النحول ، فلو
زرتنا اليوم لمنعنا نحولنا من التسليم والعناق. (٢) الشرق بفتح الراء - الغصّة ، والماء
الثانية - كناية عن المقام أو المنزل ، يقول: كما أشرب الماء أغص به لأنّه يذكرني الماء الذي يقيم
فيه أهل حبيبتى (٣) الأسننة - الرماح ومرداه حاملوها أى ان رماح أهل حبيبتى يحرمون
الوصول اليها وهذا ما يدعونى الى الغصّة. (٤) يغرى بي - أى يدلهم على. (٥) الرعايب
جمع رعبوب - هى المراقا الطويلة الممتائة لحماً. (٦) يقول: ان نساء المدن يجملن أنفسهن
بالأدهان ، وأما جمال البدويات فهو طبيعى. (٧) صبغ الحواجيب - أى (الخطوط) الذى
تجعبه نساء الحضر بحواجيبهن. (٨) يقول: ان بصرى جاب منياتى. (٩) جالين - ظهرت

فيد مسيلة وطرف شاخص * وحشى يدوب ومدمع مسفوح (١)
الحيرة

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا * فلم أدر أى الظاعنين أشيع؟ (٢)
أشاروا بتسليم فجدنا بأنفيس * تسيل من الآماق والسم أدمع (٣)
حشاي على جمر ذكى من الهوى * وعيناي فى روض من الحسن ترتع (٤)
ولو حملت صم الجبال الذى بنا * غداة افترقنا أو شكت تتصدع (٥)
اكسير الحياه

وفتانة العينين قتالة الهوى * إذا نفحت شيخاً روائحها شبا (٦)
لها بشر الدر الذى قلدت به * ولم أرَ بداراً قبلها قلد الشبا (٧)
الطيب المهيّب

بما بين جنبي التى خاض طيفها * الى الدياجى والخليون هجع (٨)
أتت زائراً ماخامر الطيب ثوبها * وكالمسك من أردانها يتضوع (٩)
فما جلست حتى انثنت توسع الخطا * كفاطمة عن درها حين ترضع (١٠)
فشرد إعظامى لها ما أتى بها * من النوم والتاع الفؤاد المفجع (١١)
فيا ليلة ما كان أطول بتها * وسم الأفاعى عذب ما أتجرع (١٢)
تدلل لها وأخضع على القرب والنوى * فما عاشق من لا يذل ويخضع (١٣)

(١) مسفوح : جار . (٢) الحشاشة : بقية الروح فى المريض (٣) السم : الاسم ، يريد
أن اسمها دموع وماهى الأرواح سالت من العين (٤) ذكى مشتعل بشدة (٥)
تتصدع : تتهدم . (٦) نفحت : أى هبت على (٧) البشرة ظاهر الجلد ، الشهب :
النجوم . (٨) بما بين جنبي : أى بقاى ، ومراده أفدى بنفسى التى زارنى طيفها فى
الظلام والناس نيام . (٩) خامر : اختلط ، والأردان : الأكام ، يقول : لم تدهن
بالطيب ولكنه يفوح من اكمامها : (١٠) الدر : اللبن ، يقول : قبل ان يستقر بها
المجاس قامت مسرعة كأنها التى فطمت طفلها قبل أن يذوق لبنها . (١١) شرد أى فرق ،
والتاع : احترق يقول : اعظامى لها شرد نومى الذى جاء بها ، والمفجع : الموجه . (١٢)
يقول : يالهالياة طويالة سم الثعبان أعذب لى منها (١٣) أى تدلل لمن تحب على البعد

النحول

- أبلى الهوى أسفاً يوم النوى بدنى * وفرق المهجر بين الجفن والوسن (١)
روح تردد في مثل الخلال إذا * اطارت الريح عن الثوب لم يبن (٢)
كفى بجسمى نحولاً أنى رجل * لولا مخاطبتى إياك لم ترفى !!

الرجاء

- أحيا وأيسر ما قاسيت ماقتلاً * والبين جار على ضعفى وما عدلاً (٣)
والوجد يقوى كما تقوى النوى ابداً * والصبر ينحل فى جسمى كما نحلاً (٤)
لولا مفارقة الأحباب ما وجدت * لها المنايا الى أرواحنا سبلاً (٥)
بما يحفنيك من سحر صلى دنفا * يهوى الحياة واما ان صددت فلا (٦)

رماة الحدق

- عمرك الله هل رأيت بدوراً * طلعت فى براقع وعقود (٧)
راميات بأسيهم ريشها الهدى * ب تشق القلوب قبل الجلود (٨)
كل خمضانة أرق من الخمة * ربقلب أقسى من الجلود (٩)
ذات فرع كأنما ضرب العنبر فيه بماء ورد وعود
حالك كالغداف جثل دجوجى * أثيث جمعد بلا تجعيد (١٠)
تحمل المسك من غدائرها الريح * وتفتر عن شنيب برود (١١)

والقرب ومن لم يفعل كذلك فليس بعاشق. (١) الوسن: النوم. (٢) الخلال: عود رفيع تخمل به الاسنان. (٣) أحيا: مع ان أقل ما أقاسيه يقتل عادة. (٤) الوجد: الحزن يقول: يزيد وجدى كلما زاد البعد والصبر ينحل جسمى فيقل كما قل هو أيضا. (٥) المنايا: الموت، السبل: الطرق - يقول: لولا الفراق ما عرف الموت الطريق الى نفوسنا. (٦) الدنف: بكسر النون الذى ثقل مرضه، صددت: امتنعت عن الزيارة. (٧) عمرك الله دعاء بطول العمر. (٨) الأسيهم: النظرات، والهدب شعر الجفون يقول: تصل الى القلب بدون ان تمس الجلد. (٩) الخمضانة: ضامرة البطن، والجلود: الصخر. (١٠) الحالك: شديد السواد، والغداف: الغراب، والجثل: الكثير، والدجوجى: المظلم، والأثيث: الكثيف: والجعد: الماتوى المنتبض. (١١) الغدائر: الضفائر، والشنيب: البرود، والشعر: العذب

جمعت بين جسم احمد والسقم * وبين الجفون والتسويد (١)
الاخلاص

إلام طماعية العاذل * ولا رأى في الحب للعاقل
يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل
وإني لأعشق من أجلكم * نحولى وكل أمرىء ناحل
ولو زلتم ثم لم أبكم * بكيت على حبي الزائل
أينكر خدى دموعى وقد * جرت منه فى مسلك سابل
وهبت السلو لمن لا منى * وبت من الشوق فى شاغل

الاطمئنان

أمن ازديارك فى الدجى الرقباء * اذ حيث كنت من الظلام ضياء (٢)
قلق المليحة وهى مسك هنكها * ومسيرها فى الليل وهى ذكاء (٣)
أسفى على أسفى الذى دلتهنى * عن علمه فيه على خفاء (٤)
وشكيتى فقد السقام لأنه * قد كان لما كان لى أعضاء

الخاتمان

لاعبت بالخاتم انسانية * كبدر تم فى الدجى الناجم (٥)
وكلما حاولت أخذنى له * من البنان المترف الناعم
ألقتة فى فيها فقلت انظروا * قد أخفت الخاتم فى الخاتم

(١) أحمد يعنى نفسه، والتسويد عدم النوم أى جمعت بين جسمه والسقم وعينه والسهور.
(٢) الازديار: الزيارة، والدجى: الظلام يقول: ان الرقباء عليك قد آمنوا زيارتك لى
ليلا لأن نور وجهك يضئ الظلام فيدلهم على مسيرك. (٣) القلق: الحركة وذكاء
اسم للشمس يقول: ان المليحة مسك اذا تحركت فاح أريجها وهى شمس اذا سرت
سطع نورها. (٤) دلتهنى: تركتني بلا عقل يقول: كنت أسفا أيام قربك على زمان
وصالك فاما هجرت ذهب عقلى فصرت أسفا على أيام أسنى لاننى كنت فيهاذا
عقل. (٥) الدجى الناجم - ذوالنجوم

المدح المختار من شعر المتنبي

المدح أنفس ما صدر عن المتنبي من الشعر ، وقد مدح طامعاً وشاكراً وكلا الحالتين تبعث على الاجادة . ومدح أيضاً متكلفاً . فلم يؤثر تكلفه على متانة قوله .

أما مدحه طامعاً فكان في طور بؤسه إبان سعيه وراء رزقه فكان يفرغ جهده في وصف الممدوح ، ويغالى في إطرائه ، ولو خالف ذلك طبعه المفطور على بعض الناس عامة والملوك خاصة . وأما مدحه شاكراً فقوله في سيف الدولة (١) وهو عرائس قصائده ، فقد غاص في بحور اللغة وراء درر الالفاظ وجواهر المعاني ورصع بها مدائحهم يقصد بذلك أن يكبر في نظر سيف الدولة الملك الشاعر الأديب وليعجز شعراء عصره عن الاتيان بمثل قوله حتى يشهد التاريخ بتفوقه عليهم ، وقد بلغ هذه الأمنية وكانت من أكبر أسباب حنق الشعراء عليه ، حتى حملوا سيف الدولة على غض الطرف عنه كما تقدم .

وأما مدحه متكلفاً فهو قوله في كافور حينما كان يطمع منه بتولية الامارة فقد خالف في مدحه قلبه لأنه كان أسفا على فراق سيف الدولة وخالف أيضاً عينه لأن كافوراً كان في نظر المتنبي أحقر من أن يمدح ، ويدلك على تكلفه

(١) هو علي بن عبد الله بن حمدان ولد سنة ٣٠٣ هجرية (٩١٥ م) في السنة التي ولد فيها المتنبي وكان أبوه والياً على الموصل للخليفة المكتفي بالله العباسي فلما بلغ على أشده ولاه الخليفة المتقي بالله مدينة واسط وهي التي بناها الحجاج بين الكوفة والبصرة ولقبه سيف الدولة وقد صدق ظنه فيه لأنه كان شاعراً أديباً وجواداً أريحياً وشجاعاً مقداماً انتزع ولاية حاب من عامل الاخشيد ملك مصر وجعلها عاصمة لملكه واشتبك مع الروم في عدة مواقع كان النصر حليفه في جميعها . ويستدل بوصف المتنبي لحروبه معهم التي ذكرها في مديحه أنه كان من أعظم المرابطين وخيرة المجاهدين وقيل انه جمع الغبار الذي كان يعلق بثيابه في حروبه مع الروم وعمل منه لبنة (طوبة) وأوصى أن توضع تحت خده في قبره . واذا عرفت تأخر الدولة العباسية وقتئذ في العراق وضعف دولة الاخشيد في مصر أكبرت سيف الدولة في صده سيل الروم العرم عن بلاد الأسلام .
توفي سنة ٣٥٦ هـ بعد المتنبي بعامين رحمه الله تعالى

أن هذا المدح تغير وأبدل بدم يُقابلة قدراً بقدرٍ بمجرد خيبة أمله من كافور
وهذه حال التكلف كما يقول المتنبي في أمثاله :

وأسرع مفعول فعلت تغيراً * تكلف شيء في طباعك ضده

ومع هذا فقد كان مدحه لكافور من الآيات البيّنات . بمثل ذلك تظهر
لك قدرة المتنبي على القول ، لأن البليغ المفوه قد يرتج عليه أن يقول كلمةً
واحدةً تخالف قلبه وطباعه والمتنبي يستمر ثلاث سنين يمدح كافوراً على
هذه الحال . ولم اختر شيئاً من مدحه اكتفاء بما ذكرت منه في طور ياسه
قال في كريم لم يذكر اسمه في ديوانه :

يعطيك مبتدراً فان أعجلته * أعطاك معتذراً كمن قد أجرما (١)
ويرى التعظيم أن يرى متواضعاً * ويرى التواضع أن يرى متعظماً
نصر الفعّال على المطال كأنما * خال السؤال على النوال محرماً (٢)
وقال في سعيد بن عبد الله يصف ظفّره بقوم خرجوا عن طاعته :

يلوح بدر الدجى في صحن غرته * ويحمل الموت في الهيجاء إن حملاً (٣)
ترابه في كلاب كحل أعينها * وسيفه في جناب يسبق العذلا (٤)
لنوره في سماء المجد مخترق * لو صادف الفكر فيه الدهر مانزلاً
هو الأمير الذي بادت تميم به * قدماً وساق إليها حينها الأجلا (٥)
لما رأوه وخيل النصر مقبلة * والحرب غير عنوان أسلموا الحللا (٦)
وضاقت الأرض حتى صار هاربهم * إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً
فبعده وإلى ذا اليوم لو ركضت * بالخييل في لهوات الطفل ماسعلا (٧)

(١) مبتدراً : أى قبل أن تسأله ؛ أعجلته : أى سألته قبل أن يعطيك . (٢) النوال
العطاء . (٣) صحن غرته : أى وجهه ؛ الهيجاء : الحرب - يقول : اذا هجم على عدو
هجم الموت معه . (٤) كلاب : قبيلة الممدوح - يريد انهم يكتحلون بالتراب الذى يمشى
عليه لعظمه فى نفوسهم وجناب : قبيلة العدو (٥) تميم : اسم قبيلة ، الحين : الهلاك .
(٦) الحرب العوان : المتكررة ، الحلل : المنازل - يقول : انهم ساموا اليه ديارهم
من أول موقعة (٧) الهوات : جمع لهاة وهى نهاية الخلق - يقول أصبحت هذه
القبيلة فى حكم العدم فلوجرت بنحياها فى حاق الطفل لم يسعل ؛ لانه لا يشعر بها لهونها .

فقد تركت الألى لآقيتهم جزراً * وقد قتلت الألى لم تلقهم وجلا (١)
وقال في شجاع بن محمد الأوسى وقومه :

كبرت حول ديارهم لما بدت * منها الشموس وليس فيها المشرق
وعجبت من أرض سحاب أكفهم * من فوقها وصخورها لا تورق
وتفوح من طيب الثناء روائح * لهم بكل مكانة تستنشق
مسكية النفحات إلا أنها * وحشية بسواهم لا تعبق (٢)
وفي علي بن أحمد الطائي وكان عالماً

فصيح متى ينطبق تجد كل لفظه * أصول البراعات التي تتفرع
بكف جواد لو حكمتها سحابة * لما فاتها في الشرق والغرب موضع
أليس عجيباً أن وصفك معجز * وأن ظنوني في معاليك تطلع ؟ (٣)
وأنت في ثوبٍ وصدرك فيكما * على أنه من ساحة الأرض أوسع
وقلبك في الدنيا ولو دخلت بنا * وبالجن فيه ما درت كيف تطلع
وقال في جعفر بن كيخلف يصف دخوله مدينة حمص بعد موقعة :

دخلتها وشعاع الشمس متقد * ونور وجهك بين الخلق باهره (٤)
في فيلق من حديد لو قذفت به * صرف الزمان لما دارت دوائره (٥)
تمضى المواكب والأبصار شاخصة * منها إلى الملك الميمون طأره
قد حرن في بشرٍ في تاجه قمر * في درعه أسدٌ تدمى أظافره
حلوا خلائقه شوس حقائقه * تحصى الحصى قبل أن تحصى ما آثره (٦)

(١) جزراً : أى لهماً مقطوعاً ، والوجل : الخوف — يقول : قد قتلت من
لأقاك منهم بالسيف ومن لم تلقه مات من الخوف . (٢) وحشية : أى لا تألف غيرهم ،
فلا تزكوا رائحتها إلا بوجودهم (٣) تطلع : تمشى كالاعرج . يقول : ان صفاتهم تعجز
الواصف والظن فيك يتعثر في سيره حيرة . (٤) باهره متفوق عاينه . (٥) الفيالق
الجيش ، وصرف الزمان . نوابه . يقول : لو هجمت بجيشك على نواب الزمان لأفنيتها
(٦) الشوس جمع أشوس وهو الذي يمشى بخرينظر عينه ، والحقائق ما يحق على الرجل
حفظه من جاره وولده .

تضييق عن جيشه الدنيا ولو رحبت * كصدره لم تبني فيها عساكره
وقال في شجاع بن محمد يصف حمله وكرمه :

ولو لا تولى نفسه حمل حمله * عن الأرض لانهدت وناء بها الحمل (١)
تباعدت الآمال عن كل مقصد * وضائق بها إلا إلى باب السبل (٢)
ونادى الندى بالناثمين عن السرى * فأسمعهم هبوا فقد هلك البخل (٣)
وحالت عطايا كفه دون وعده * فليس له إنجاز وعدلا مطلق (٤)
وفي أحمد بن الحسين القاضي :

جواد سميت في الخير والشر كفه * سمواً أود الدهر أن اسمه كنف (٥)
وأضحى وبين الناس في كل سيد * من الناس إلا في سيادته خلف (٦)
وما حارت الأيام في عظم شأنه * بأكثر مما حار في حسنه الطرف (٧)
تفكره علم ومنطقه حكم * وباطنه دين وظاهره ظرف
وفي علي بن منصور :

هذا الذي أبصرت منه حاضراً * مثل الذي أبصرت منه غائباً
كالبدر من حيث التفت رأيت * يهدي إلى عينك نوراً ثاقباً
كالبحر يقذف للقريب جواهرأ * جوداً ويبعث للبعيد سحائباً (٨)
كالشمس في كبد السماء وضوؤها * يغشى البلاد مشارقاً ومغارباً

(١) ناء بها : أثقائها أي لولا أنه حمل حمله بنفسه لانهدت الأرض من عظمتها
(٢) السبل الطرق يقول ان آمال الناس لا طريق لها الى سواك . (٣) الندى
العطاء والسرى السير ليلاً ، وهبوا بمعنى أفيقوا يقول : ان جودك نادى بالناس لتقديمات
البخل فقومه ووا إلى الكرم . (٤) يقول انه يعطى على الفور بدون أن يعد فلذلك
استغنى عن إنجاز الوعد أو التحمل به لان ذلك مفقود بتعجيله العطاء في وقته .
(٥) الجواد الكريم وسمت عات ويريد بالشر القتال لانه شر على الاعداء وأود
تمنى (٦) أضحى هنا تامة يقول كل سيد في الناس مختلف في سيادته الا أنت
(٧) الطرف العين يقول : تحار العين في محاسنه كما تحار الايام في عظم شأنه (٨) هذا
البيت يدل على أن المتنبي كان يعرف التبخر الذي تفعليه الشمس بماء البحر فيتكاثف

خذ من ثنأى عليك ما أسطبعه * لا تلزمنى فى الثناء الواجبا
فلقد دهشت لما رأيت ودونه * ما يدهش الملك الحفيظ الكاتب (١)
وفى محمد بن عبد الله الخصيبى القاضى :

قاض إذا التبس الأمران عن له * رأى يخلص بين الماء واللبن (٢)
غض الشباب بعيد فجر ليلته * بجانب العين للفحشاء والوسن (٣)

أخلت مواهبك الاسواق من صنع * أغنى نذاك عن الأعمال والمهن (٤)

ذا جود من ليس من دهر على ثقة * وزهد من ليس من دنياه فى وطن (٥)

وهذه هممة لم يؤتها بشر * وذا اقتدار لسان ليس فى المنن (٦)

فأمر وأومىء تطع قدست من جبل * تبارك الله مجرى الروح فى حوضن (٧)

وفى على بن أحمد بن عامر :

فتى لا يضم القلب همات صدره * ولو ضمها قلب لما ضمه صدر (٨)

ولا ينفع الامكان لو لا سخاؤه * وهل نافع لو لا الأ كف القنا السمر ؟ (٩)

مفدى بآباء الرجال سميذعاً * هو الكرم المد الذى ماله جزر (١٠)

وما زلت حتى قادنى الشوق نحوه * يسايرنى فى كل ركب له ذكر

واستكبر الأخبار قبل لقائه * فلما التقينا صغر الخبر الخبر (١١)

وفى على بن سيار :

ويصير سحابا . (١) المالك الحفيظ كاتب الحسنات . (٢) يخلص بين الماء والابن أى

يميز الحق من الباطل . (٣) يريد أنه يحيى الليل عبادة وأن عينه لا تنتظر الى معيب .

(٤) يريد أن جوده على الفقراء أغناهم عن الصناعة . (٥) أى انك تعطى عطاء

كريم يخشى الفقر فهو يصرف ماله فى الخير ليكسبه أجره قبل أن يفقده بياعث

آخر لا أجر فيه . (٦) المنن جمع منة بضم الميم وهى القوة .

(٧) حوضن بفتح الحاء والضاد جبل عظيم فى بلاد نجد (٨) الهبات بكسر الهاء

جمع هممة وهى العزم : (٩) الامكان ، اليسر لانه يمكن من قضاء الحاجات . (١٠)

السميذع : الشجاع الكريم ، والمد : ارتفاع ماء البحر على الساحل ، والجزر :

تقصه عنه يريد أنه دائم العطاء . (١١) يقول كنت أستكبر الاخبار عن جوده

بنفسى الذى لا يزدهى بخديعة * وإن كثرت فيها الذرائع والقصد (١)
ومن بعده فقرو ومن قر به غنى * ومن عرضه حر ومن ماله عبد
ويصطنع المعروف مبتدأ به * ويمنعه من كل من ذمه حمد
ويحتقر الحساد عن ذكره لهم * كأنهم وفي الخلق ما خلقوا بعد
وتأمنه الأعداء من غير ذلة * ولكن على قدر الذى يذنب الحقد (٢)
وفى الحسن بن على الهمدانى :

بصير بأخذ الحمد من كل موضع * ولو خباثة بين أنيابها الأسد
بتأميله يعنى الفتى قبل نيله * وبالذعر من قبل المهند ينقد (٣)

وجدت علياً وابنه خير قومه * وهم خير قوم واستوى الحر والعبد
وأصبح شعري منهما فى مكانه * وفى عنق الحسناء يستحسن العقد

- : مدحه سيف الدولة : -

قال يذكر مقاتلته جيش العدو وحده :

فلما رأوه وحده قبل جيشه * دروا أن كل العالمين فضول (٤)
وأن رماح الخط عنه قصيرة * وأن حديد الهند عنه كليل (٥)
وقال فى وصفه :

إن كان قد ملك القلوب فانه * ملك الزمان بأرضه وسماؤه
الشمس من حساده والنصر من * قرنائه والسيف من أسمائه (٦)

وحسن وصفه فلهما رأيتيه وجادته أكبر مما كان يوصف فى (١) يزدهى بخديعة أى
لا تستخفه الخديعة فتنتطلى عاياه والذرائع: الوسائل. (٢) يقول: لا يؤذى أعداءه ما
استقاموا فاذا أذنبوا كان عقابهم بقدر ذنبهم فقط فلا يسرف فى تأديبهم. (٣)
يقول ان الانسان اذا فكر فى خير هذا الممدوح اغتنى واذا خافه قتله الخوف
(٤) الفضول الزائد عن الحاجة. (٥) الخط: موضع تنسب له الرماح الخطية وحديد
الهند السيوف وكليل أى لا يقطع يريد أنهم هابوه وأنه لشجاعته لا يمكن أعداءه من
إيصال رماحهم أو سيوفهم الى جسمه. (٦) القرناء: الأصدقاء .

أين الثلاثة من ثلاث خلاله * من حسنه وإبائه ومضائه
هضت الدهور وما أتين بمثله * ولقد أتى فعجزن عن نظرائه
وقال فيه ويذكر إدرأ كه قائد جيش العدو حين دخل بلدة مرعش فأجلاه عنها :
أتى مرعشاً يستقرب البعد مقبلاً * وأدبر إذا أقبلت يستبعد القربا
مضى بعد ما التف الرماحان ساعة * كما يتلقى الهدب في الرقدة الهدبا
ولكنه ولي وللطعن ثورة * إذا ذكرت لها نفسه لمس الجنبا
وقال يصف كرمه :

لقد جدت حتى جدت في كل مائة * وحتى أتاك الحمد من كل منطق
وقال يصف حزمه :

قد عرض السيف دون النزالات به * وظاهر الحزم بين النفس والغيل (١)
ووكيل الظن بالأسرار فأنكشفت * له ضمائر أهل السهل والجبل (٢)
وقال يمدحه :

بغرته في الحرب والسلم والحجى * وبذل اللهم والحمد والمجد معلم (٣)
يقر له بالفضل من لا يوده * ويقضى له بالسعد من لا ينجم (٤)
أجار على الأيام حتى ظننته * يطالبه بالرد عاد وجرهم (٥)
ومنها يصف عرضه الجيش :

ولما عرضت الجيش كان بهاؤه * على الفارس المرخي الذؤابة منهم (٦)
حواليه بحر للتجافيف مائج * يسير به طود من الخيل ايهم (٧)

(١) أى جعل سيف بينه وبين نواب الدهر فكفاه شرها واستعمل الحزم فأيوخذ
على غرة . (٢) يقول : انه أعمل ظنه فكشف له عن أسرار الناس فلم يخف عليه شئ ممن
أصروهم (٣) بغرته . أى بوجهه والحجى العقل : والاهى بالضم العطايا ، ومع أى به علامة
يعرف بها . (٤) يريد أن أعداءه يشهدون بفضله وأن الذى لاخبرة له بالتنجيم يحكم بأنه
من السعداء . (٥) أجار : أى حمى يريد أنه ضمن لجاره دفع ما يصيبه من النوائب وعاد
وجرهم من القبائل البائدة (٦) بهاؤه أى حسنه ، والذؤابة : ما يرسل من طرف العمامة
ويريد بالفارس سيف الدولة ويقول : لما عرضت الجيش كنت حسنه (٧) التجافيف :
دروع تلبس للخيل وقاية لها من سلاح العدو ، والطود : الجبل ، والايهم : الذى يضل فيه

تساوت به الأقطار حتى كأنه * يجمع أشتات الجبال وينظم
وكل فتىً في الحرب فوق جبينه * من الضرب سطر بالأسنة معجم
يمد يديه في المفاضة ضيغم * وعينيه من تحت التريكة أرقم (١)
كأجناسها راياتها وشعارها * وما لبسته والسلاح المسمم
وأدبها طول القتال فطرفه * يشير إليها من بعيد فتفهم (٢)
تجاوبه فعلا وما تسمع الوحي * ويسمعها لحظاً وما يتكلم (٣)
ومنها يصف خيل الفرسان :

على كل طاوٍ تحت طاوٍ كأنه * من الدم يسقى أو من اللحم يطعم (٤)
لهافي الوغى زى الفوارس فوقها * فكل حصان دارع متاثم (٥)
وما ذاك بخلا بالنفوس على القنا * ولكن صدم الشر بالشر أحزم
وقال يصف حمله :

ملك زهت بمكانه أيامه * حتى افتخرن به على الأيام
ونخاله سباب الورى من حمله * أحلامهم فهمو بلا أحلام
وقال يهنئه بعيد الأضحى

هنياً لك العيد الذى أنت عيده * وعيد لمن سمي وضحي وعيدا
ولا زالت الأيام لبسك بعده * تسلم ما يبلى وتعطى مجددا (٦)
وقال يصف موقفه في حرب .

السائر لا تساعه يريد عظم جيش سيف الدولة. (١) المفاضة: الدرع الواسعة، والضيغم:
الأسد، والتريكة: الخوذة والأرقم: الثعبان يريد أن الفارس أسد ينظر بعيني ثعبان
(٢) أدبها مرئها وراضها يريد أن جيشه مع عظمه يتحرك بإشارته (٣) تجاوبه أى
تفعل ما أراد بدون أن تسمع لفظه، لأنه يفهمها مراده بإشارة العين (يصف حسن انقياد
جيشه وطاعته له) (٤) الطاوى ضامر البطن من الجوع يقول: إن خيابه وفرسانها
متحفزة للهجوم كأنما طعامها من لحم الأعداء وشرابها من دماهم فهى جائعة
متعطشة لالفتك بهم (٥) يقول إن الخيل لا لبسة كفرسانها فهى مدرعة ماثمة
(٦) فى بعض النسخ مخروفاً .

- وقفت وما في الموت شك لواقف * كأنك في جفن الردى وهو نائم (١)
تمر بك الأبطال كمنى هزيمة * ووجهك وضاح وثغرك باسم (٢)
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهي * إلى قول قوم أنت بالغيب عالم (٣)
ضممت جناحيهم على القلب ضمة * تموت الخوافي تحتها والقوادم (٤)
بضرب أتى الهامات والنصر غائب * وصار إلى اللبات والنصر قادم (٥)
حقرت الردينيات حتى طرحتها * وحتى كأن السيف للريح شاتم (٦)
ومن طلب الفتح المبين فأنما * مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم
وقال يصف هرب أعدائه بعد موقعه:

- وظل الطعن في الخيلين خلساً * كأن الموت بينهما اختصار (٧)
فلزهم الطراد إلى قتال * أحد سلاحهم فيه الفرار (٨)
مضوا متسابقى الأعضاء فيه * لأرؤسهم بأرجلهم عثار (٩)
وقال يصف ظفوره بعدو

- صدمتهم بخميس أنت غرته * وسمهريته في وجهة غمم (١٠)
فكان أثبت ما فيهم جسومهم * يسقطن حولك والأرواح تنهزم (١١)

(١) الردى. الموت: (٢) كمنى مجروحة هزيمة منهزمة وضاح مشرق بالسرور يقول: كنت في هذا الموقف، الذي لا يؤول الواقف فيه نجاة من الموت كأنك في عين الموت وهو نائم لا يشير بك - تمر بك الأبطال من الأعداء عابسة مما بها من الجروح والعجز عن النصر وأنت مسرور مبتسم. (٣) المهى: العقول. (٤) الجناحان ميسرة الجيش وميمنته وقابه - وسطه والقوادم - ريشات جناح الطائر الكبيرة والخوافي - الريش المخفي تحتها يقول: ضممت ميمنة العدو وميسرته على القلب ضمة أفنته. (٥) بضرب أى ضممتهم بضرب والهامات الرعوس واللبات الصدور (٦) الردينيات الرماح يقول اختلطت بالعدو حتى ألقيت الرماح واستعمات السيوف وحدها. (٧) البيض الخفاف الصوارم أى السيوف. (٨) لزهم الطراد أى أجمهم سير القتال إلى الفرار. (٩) يقول: كانت أعضاؤهم تتسابق إلى الهرب فتعثر وعوسهم بأرجلهم (١٠) الخميس: الجيش أنت غرته أى نور جبينه: والسمهرية الرماح. والغمم كثرة شعر الناصية شبه به الرماح (١١) يقول إن أثبت ما في جيش عدوك أجسام عساكره لأنها

ألقت إليك دماء الروم طاعتها * فلو دعوت بلا حرب أجب دم
يسابق القتل فيهم كل حادثة * فما يصيبهم موت ولا هرم (١)
وقال في قوم عصوا سيف الدولة فأخضعهم
أرادوا علياً بالذي يعجز الوري * ويوسع قتل الجحفل المتضايق
فما بسطوا كفاً إلى غير قاطع * ولا حملوا رأساً إلى غير فالق
لقد أقدموا لوصادفوا غير آخذ * وقد هربوا لوصادفوا غير لاحق
وقال في تعبئة جيش سيف الدولة للقتال

ورب جواب عن كتاب بعثته * وعنوانه للناظرين قتام (٢)
تضيق به البيداء من قبل نشره * وما فض بالبيداء عنه ختام
حروف هجاء الناس فيه ثلاثة * جواد ورمح ذابل وحسام
وقال يهنئه بشفائه من مرض

المجد عوفى إذ عوفيت والكرم * وزال عنك إلى أعدائك الألم
وما أخصك من برءٍ بتهنئة * إذا سلمت فكل الناس قد سلموا
الرتاء المختار من شعر المتنبي

المتنبي قليل الرثاء . وكان يرثي مكلفاً أو متكلفاً . ولم يصدر عنه عن وجدان
نفسى إلا قصيدتان : الأولى رثى بها جدته . والثانية رثى بها أبا شعجاع فاتكماً
أمير الفيوم . ومع هذا فإن رثاءه اضعف أنواع شعره
قال يرثي محمد بن اسحاق ، وقد سئل ذلك :

ما كنت أحسب قبل دفنك في الثرى * أن الكواكب في التراب تغور
ما كنت أمل قبل نعشك أن أرى * رضوى على أيدي الرجال تسير (٣)

تسقط بين يديك وتنهزم أرواحهم (١) يقول إن قتلهم يسبق ما يصيبهم من حادثات
الدهر فلا يموت أحد منهم حتف أنفه ولا يلحقه هرم لأنك تقتله قبل ذاك (٢)
القتام الغبار وهذا الجيش هو الرسالة التي عناها المتنبي في قوله
وهل تغنى الرسائل في عدو * إذا مالم يكن ظبي دقاً

(٣) رضوى : جبل عظيم

خرجوا به ولاكلٍ بك خلفه * صعقات موسى يوم دك الطور (١)

كفّل الشاء له بردٌ حياته * لما انطوى فكأنه منشور
وقال يرثي جدته ، وكان أرسل لها كتاباً بعد انقطاع أخباره عنها فقبلت الكتاب
وحمت لوقتها وماتت :

ألا لأرى الاحداث مدحاً ولا ذمّاً * فما بطشها جهلاً ولا كفها حليماً (٢)
إلى مثل ما كان الفتى مرجع الفتى * يعود كما أبدى ويكرى كما أرمى (٣)
لك الله من مفعوجة بحبيها * قتيلة شوق غير ملحقها وصبا
أحنُّ الى الكاس التي شربت بها * وأهوى لمثواها التراب وما ضمّاً
بكيت عليها خيفةً في حياتها * وذاق كلانا ثكل صاحبه قدما

منافعها ما ضرَّ في نفع غيرها * تغدّى وتروى أن تجوع وأن تظما (٤)
أتاها كتابي بعد يأسٍ وترحة * فماتت سروراً بي فمتُّ بها غمّاً
هبيني أخذت الثأر فيك من العدى * فكيف بأخذ الثأر فيك من الحمى
وما انسدت الدنيا على لضيقها * ولكن طرفاً لأراك به أعمى
وقال يرثي طفلاً لسيف الدولة

بنامتك فوق الرمل ما بك في الرمل * وهذا الذي يرضى كذاك الذي يبلى (٥)
كأنك أبصرت الذي بي وخفته * إذا عشت فاخترت الحمام عن الشكل
تركت خدود الغانيات وفوقها * دموع تذيب الحسن في الأعين النجل
تبل الثرى سوداً من المسك وحده * وقد قطرت حمراً على الشعر الجثل (٦)

فان تك في قبر فانك في الحشى * وإن كنت طفلاً فالأسى ليس بالطفل

(١) الصعقات جمع صعقة وهي ان يقع الرجل مغشياً عليه (٢) الاحداث النوائب
(٣) يكرى ينقص وأرمى يزيد (٤) أى تفرح فيما يلحقها من الضرر في نفع غيرها
(٥) يقول ان حالنا لفقدك ونحن على ظهر الارض كحالك وانت في جوفها (٦)
يقول ان الدمعة تنزل حمراء من العين على شعر الغانية الاسود وهو من المسك فتذيبه

ومثلك لا يبكى على قدر سنه * ولكن على قدر الخيلة والأصل (١)

أست من القوم الألى من رماحهم * ندامهم ومن قتلاهم مهجة البخل
بمولودهم صمت اللسان كغيره * ولكن فى اعطافه منطق الفضل
تسليهم علياؤهم عن مصابهم * ويشغلهم كسب الشاء عن الشغل
وقال يرثى أختاً لسيف الدولة ، وورد له نعيها وهو فى الكوفة :

طوى الجزيرة حتى جاءنى خبراً * فزعت فيه بآمالى إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لى صدقة خبراً * شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى
تعثرت به فى الأفواه السُنْها * والبرد فى الطرق والأقلام فى الكتب

وإن تكن خلقت أثنى لقد خلقت * كريمة غير أثنى العقل والحسب
وان تكن تغلب الغلباء عنصرها * فان فى الخمر معنى ليس فى العنب (٢)
فليت طالعة الشمسين غائبةً * وليت غائبة الشمسين لم تغب
وليت عين التى آب النهار بها * فداء عين التى زالت ولم تؤب
فما تقلدً بالياقوت مشبهها * ولا تقلد بالهندية القضب (٣)
ولا ذكرت جميلاً من صنائعها * الا بكيتُ ولا ودُّ بلا سبب
وقال يرثى أبا شجاع فاتكاً أمير الفيوم :

الحزن يقلق والتجمل يردع * والدمع بينهما عصى طبع (٤)
يتنازعان دموع عين مسهد * هذا يجيء بها وهذا يرجع

تصفو الحياة لجاهل أو غافل * عما مضى منها وما يتوقع
ولمن يغالط فى الحقائق نفسه * ويسومها طلب المحال فتطمع
أين الذى الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن أصحابها * حيناً ويدركها الفناء فتتبع

فينزل على الارض مسكا (١) الخيلة مايتفرسه المرء فى المولود من الخير (٢) تغاب
قبيلتها يقول وان كانت من تغاب الا أنها فاقتها فى مكارم الاخلاق (٣) أى لاشبيهها
لامن النساء ولا من الرجال (٤) والتجمل الصبر

برّد حشاي إن استطعت بلفظة * فلقد تضرّ إذا تشاء وتنفع
ما كان منك إلى خليل قبلها * ما يستراب به ولا ما يوجع (١)
وقال يعزى سيف الدولة بأخت له

إن يكن صبرذي الزرئية فضلاً * تكن الأفضل الأعز الاجلا (٢)
أنت يافوق إن تعزى على الأحباب فوق الذي يعزبك عقلاً
و بالفاظك اهتدى فاذا عزا * ك قال الذي له قلت قبلا

قد بلوت الخطوب مرّاً وحلوا * وسلكت الأيام حزناً وسهلاً (٣)
وقلت الزمان علماً فما يغرب قولاً ولا يحدد فعلاً
أجد الخزن فيك حفظاً وعقلاً * وأراه في الناس ذعراً وجهلاً (٤)

مختارات من ضروب شتى

قال في مدح الرأي :

الرأي قبل شجاعة الشجعان * هو أولٌ وهي المحل الثاني
فاذا هما اجتمعا لنفس حرة = بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه * بالرأي قبل تطاعن الأقران
وقال في الحسد :

سوى وجع الحساد داو فانه * إذا حل في قلب فليس يحول
ولا تطمعن من حاسد في مودة * وإن كنت تبديها له وتنيل
وقال في وصف الديار :

فدينك من ربع وان زدتنا كربا * فانك كنت الشرق للشمس والغربا
وكيف عرفنا رسم من لم يدع لنا * فواداً لعرفان الرسوم واللبا (٥)
نزلنا عن الأكوار نمشى كرامة * لمن بان عنه ان نلم به ركبا (٦)

(١) يستراب يدع إلى الريبة وهي الشك في الأمر (٢) الرزية المصيبة يقول إن كان
الصبر على المصيبة فضيلة فأنت أفضل الناس لحسن صبرك (٣) الخطوب الشؤون (٤)
الذعر الخوف (٥) الرسوم آثار المنازل واللب العقل (٦) الأكوار الرجال يقول لما
وصلنا إلى المكان الذي كان مسكننا للاحبة نزلنا عن ركائبنا نمشى كرامة له

نذم السحاب الغرّ في فعلها به * ونعرض عنها كلما طلعت عتبا
ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت * على عينه حتى يرى صدقها كذبا
وكيف التذاذي بالأصائل والضحي * إذا لم يعد ذاك النسيم الذي هباً (١)
ذكرت به وصلاً كأن لم أفز به * وعيشاً كأنى كنت اقطعه وثبا
وقال يفتخر :

تحقّر عندي همتي كحل مطلب * ويقصر في عيني المدى المتطاول
كأنى من الوجناء في ظهر موجة * رميتي بحاراً ما هن سوا حبل (٢)
يخيل لي أن البلاد مسامعي * وأنى فيها ما تقول العواذل
ومن يبغى ما أبغى من المجد والعلأ * تساوى المحاي عنده والمقاتل
وقال يصف بعض آلامه :

رمانى الدهر بالأرزاء حتى * فؤادى في غشاء من نبال (٣)
فصرت اذا أصابتنى سهام * تكسرت النصال على النصال
وهان فما أبالى بالرزايا * فانى ما انتفعت بأن أبالى
وقال يفتخر :

وفي الجسم نفس لا تشيب بشيبه * ولو أن ما فى الوجه منه خراب
لها ظفر إن كل ظفر أعده * وناب إذا لم يبق فى الفم ناب
يغيّر منى الدهر ما شاء غيرها * وأبلغ أقصى العمر وهى كعاب (٤)
وإنى لنجم تهتدى صحبتي به * إذا حال من دون النجوم سحاب
غنى عن الأوطان لا يستخفى * إلى بلد سافرت عنه إياب
وعن زملان العيس ان ساحت به * وإلا فنى أكوارهن عقاب
وأصدى فلا أبدى الى الماء حاجة * وللشمس فوق اليعملات لعاب
وللسرّ منى موضع لا يناله * نديم ولا يفضى اليه شراب

(١) الاصائل جمع أصيل وهو الوقت بين العصر والمغرب (٢) الوجناء الناقة (٣)
الارزاء جمع رزء وهو المصيبة (٤) الكعاب البنت التى بدا ثدياها (٥) اليعملات النياق

وقال يصف أخلاق المرأة :

إذا غدرت حسناء وفت بعهدها * فمن عهدها ألا يدوم لها عهد
وان عشقت كانت أشد صباية * وإن فركت فاذهب فإفركها قصد (١)
وان حقدت لم يبق في قلبها رضى * وإن رضيت لم يبق في قلبها حقد
كذلك أخلاق النساء وربما * يضل بها الهادى ويخفى بها الرشيد

وقال يصف أمله

أظمتنى الدنيا فلما جئتها * مستسقياً مطرت على مصائباً

وقال يصف حمى أصابته

وزأرتى كأن بها حياء * فليس تزور الا فى الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا * فعاقبها وباتت فى عظامى
يضيق الجلد عن نفسى وعنهما * فتوسعه بأنواع السقام
كان الصبح يطردها فتجرى * مدامعها بأربعة سجام
أراقب وقتها من غير شوق * مراقبة المشوق المستهام
ويصدق وعدها والصدق شر * إذا ألقاك فى الكرب العظام
أبنت الدهر عندى كل بنت * فكيف وصلت انت من الزحام
جرحت مجرّحاً لم يبق فيه * مكان للسيوف وللسهام
وقال يفتخر

اطاعن خيلاً من فوارسها الدهر * وحيداً وما قولى كذا ومعنى الصبر
وأشجع منى كل يوم سلامتى * وما ثبتت إلا وفى نفسها أمر
تمرست بالآفات حتى تركتها * تقول أمات الموت أم ذعر الذعر
وأقدمت إقدام الآتى كأن لى * سوى مهجتي أو كان لى عندها وتر (٢)
وقال يصف فرسه :

ويوم كليل العاشقين كمنته * أراقب فيه الشمس أيمان تغرب

(١) فركت أبغضت (٢) الآتى السيل والوتر الثأر

وعيني إلى أذني أغرّ كأنه * من الليل باق بين عينيه كوكب
شققته به الظلماء أدنى عنانه * فيطغى وأرخيه مراراً فيلعب
وأصرع أيّ الوحش قفيته به * وأنزل عنه مثله حين أركب (١)
وما الخيل إلا كالصديق قليلة * وإن كثرت في عين من لا يجرب
إذا لم تشاهد غير حسن شياتها * وأعضائها فالحسن عنك مغيب (٢)
وقال يصف خيمة نصبت لسيف الدولة ، فهبت ريح شديدة فاسقطتها
فتشاءم الناس من سقوطها :

أيقده في الخيمة العزّل * وتشمل من دهرها يشمل
وتعلو الذي زحل تحته * محال لعمر ك ما تسأل

تضيق بشخصك أرجاؤها * ويركض في الواحد الجحفل
وتقصر ما كنت في جوفها * ويركز فيها القنا الذبل
وكيف تقوم على راحة * كأن البحار لها أمل

فلا تذكرن لها صرعة * فمن فرح النفس ما يقتل
ولو بلغ الناس ما بلغت * لخاتمهم حولك الأرجل
ولما أمرت بتطينيها * أشيع بأنك لا ترحل (٣)
فما اعتمد الله تقويضها * ولكن أشار بما تفعل (٤)

~~~~~

انتهى ما اخترته من شعر المتنبي

ويليه خلاصة بحثي عن اتهام المتنبي بادعاء النبوة

~~~~~

وقد سقط من الأمثال في الطبعة الأولى وفي هذه أيضاً قوله في حرف اللام :
لقد أباحك غشاً في معاملة * من كنت منه بغير الصدق تنتفع
ومغزاه أن من يشهد لنفك زوراً فقد غشك فاحذره فإنه لا يتعفف
عن الشهادة عليك

(١) قفيته : أتبعته (٢) شياتها : ألوانها (٣) بتطينيها : أي باقاهن وأشد أظنابها

(٤) اعتمد أي أراد تقويضها - هدمها

نبوة المتنبي

سل من شئت من علماء الأدب عن السبب في أن أبا الطيب لقب بالمتنبي يجيبك لأنه ادعى النبوة .

ما رأيت عجيبة في التاريخ كاتهام المتنبي بادعاء للنبوة . تلك كلمة قيلت عفواً فنمت واتسعت حتى أصبحت نبوة ذات وحى وقرآن ومعجزات ومبايعة عمت كل مدينة في الشام ثم قتال انتهى بتفريق الجموع وأسر المتنبي وحبسه واستتابته . وشيء من ذلك لم يحصل .

بعد أن انتهت من طبع الأمثال الطبعة الأولى سنة ١٩٣٣ داخلني بعض الشك في ادعاء المتنبي النبوة وأكبرت الرجل أن يأتي بمثل هذا السخف ثم رأيت أن أبحث هذه الناحية من تاريخ المتنبي وألحقها بالأمثال عند طبعها ثانية فاتبعت المراجع وها أنا أقدم بحتى لحضرات الأدباء تبرئة للمتنبي والتاريخ مما ألصقه بهما بعض المؤرخين حتى لا يجد الأديب بعد ذلك بدءاً من الضرب على هذه التهمة بالمداد الأحمر متى وجدها في ترجمة أبي الطيب ويثبت مكانها السبب الصحيح ولأجل الاحاطة بهذا البحث من جميع نواحيه جعلته قسمين . الأول عن اتهام المتنبي بادعاء النبوة . الثاني عن حبس المتنبي وسببه

(١) اتهام المتنبي بادعاء النبوة

ادعاء المتنبي النبوة تناوله المؤرخون بأسهاب وذكره شراح الديوان باختصار فلنترك شراح الديوان وننظر ماجاء في كتب المؤرخين ونبدأ بأقربها الياناشم نصعد بالبحث إلى أقربها من المتنبي جلاءً للحقيقة

أما أقرب الكتب الياناشي هذا البحث فهو (الوسيط) الذي ألفه اثنان من أكابر رجال وزارة المعارف في سنة ١٩١٦ م ولأن ما ذكر فيه مخالف للمؤرخين جميعاً وللوواقع . فقد أرجأت ذكره إلى آخر هذه النبذة حتى يظهر ما فيه من الخلاف جلياً . ثم يلي كتاب الوسيط كتاب (أدبيات اللغة العربية) الذي وضعه لوزارة المعارف أيضاً نخبة من رجالها الأدباء وطبع الطبعة الثانية سنة ١٩٠٩ فقد جاء فيه في ترجمة المتنبي ما نصه (وإنما قيل له المتنبي لأنه ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الأخشيدي فأسره وفرق

أصحابه وحبسه طويلاً ثم استتابه وأطلقه) وأصحاب هذا الكتاب نقلوا عبارتهم عن تاريخ ابن خلدون كما هي ولم يبدوا فيه رأياً وسنجدت هذا الرأي من أصله كما ستري . أما البديعي المتوفى سنة ١٠٧٣ هـ فقد جاء في كتابه الذي سماه (الصبيح المنبي عن حيثية المتنبى) بالطامة الكبرى وذكر نبوة المتنبى مفصلة في حديث طويل وجعل بطل روايته رجلاً سماه معاذ بن اسماعيل اللاذقي وخلاصتها أن معاذاً هذا اجتمع بالمتنبى في اللاذقية سنة ٣٢٠ هـ فادعى أنه نبي مرسل لهذه الأمة الضالة المضلة وأنه بعث ليملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وأنه يقطع الأرزاق عن العصاة ويكثر الخيرات للطائعين وأنه أوحى إليه ١١٤ عبرة دفعة واحدة وأن معاذاً نقل منها شيئاً ونسيه ولم يبق في ذاكرته سوى جزء من سورة وهو (والنجم السيار . والفلك الدوار . والليل والنهار . إن الكافر لفي إخطار . امض على سننك . واقف أثر من كان قبلك من المرسلين فان الله قانع بك زيغ من ألد في الدين . وضل عن السبيل) وأن المتنبى صنع أمام معاذ معجزة بأن حبس عنه المطر مع اشتداده حوله فلما شاهد هذه المعجزة بايعه على أنه نبي مرسل وأخذ بيعته لأهله وأن المتنبى أتى بمعجزات أخرى منها أنه تفل على جرح فبرىء بعد أيام . وأن كلباً نبس عليه فقال إنه سيموت وقدمات . وأنه ركب ناقه لا يقدر أحد على تذليلها فذللها . وأنه كان سريع المشى ينتقل بين منازل العرب بسرعة عجيبة ويوهم أن الأرض تطوى له . وأن بيعته على النبوة عمت كل مدينة في الشام .

هذه خلاصة ما ذكره البديعي ومع ما فيها من ضروب السخف فقد قال بأن معاذاً يقول عن هذه المعجزات بأنها من الحيل التي تعرفها العرب . ولقد بحثت عن معاذ بن اسماعيل الذي ارتد وبايع المتنبى وروى هذه العبارات فلم أهتد إليه وكيف أجده والبديعي لم يشر إلى شيء يدل عليه كما نرى نقل روايته عنه بلا واسطة مع أن بينهما ستمائة سنة أو أكثر .

وكذلك بحثت عن مصدر روايته فلم أجده لأثر اللهم إلا الجزء من السورة فقد وجدته في تاريخ بغداد للامام الخطيب .

ولكن أعجب ما رأيته من الجرأة في تدوين الأخبار المختلفة أن البديعي يتهم مدن الشام وفيها طبعاً العلماء والأدباء والعباد والزهاد والمحدثون وخيار أهل السنة بأنها بايعت المتنبى لمجرد شعوذة أتى بها وزعم أنها معجزات . وقد بحثت عن هذا الحادث الخطير والانقلاب الذي حدث سنة ٣٢٠ هـ في مدن الشام وارتداد أهلها

عن الاسلام ومبايعتها لأبي الطيب فما عثرت عليه . عفا الله عن البديعي وغفر له .
ثم نصعد بعد كتاب البديعي إلى (تاريخ ابن خلكان) المتوفى سنة ٦٨١ هـ فنجده نقل
خبر نبوة المتنبى عن الخطيب بلا توسع وسنعود لذكر روايته بعد بيان رواية الخطيب .
ثم نجد قبل ابن خلكان كتاب (زهة الألبا) للأنباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ فقد
ذكر فيه مسألة نبوة المتنبى منقولة عن تاريخ بغداد للعلامة أبي بكر بن الخطيب
المتوفى سنة ٤٦٢ هـ وعلى هذا يكون تاريخ بغداد هو أحد المصادر المهمة التي ذكرت
فيها نبوة المتنبى ونقلها عنه المؤرخون بين مختصر ومطول . قال الخطيب في الجزء
الرابع في الصفحة ١٠٣ ما نصه « وقال علي بن المحسن التنوخي عن أبيه قال .
واجتمعت بعد موت المتنبى بسنين مع القاضي أبي الحسن بن أم شيبان الكوفي
وجرى ذكر المتنبى قال . وكان لما خرج إلى كلب وأقام فيهم ادعى أنه علوي حسني
ثم ادعى بعد ذلك النبوة ثم عاد يدعى أنه علوي إلى أن أشهد عليه بالشام بالكذب
في الدعوتين وحبس دهرًا طويلاً وأشرف على القتل ثم استتيب وأشهد عليه
بالتوبة وأطلق .

ثم قال بعد ذلك - أخبرنا التنوخي . حدثني أبي قال حدثني أبو علي بن أبي حامد
قال - سمعت خلقاً بحلب يحكون وأبو الطيب المتنبى بها إذ ذاك أنه تنبأ في بادية
السماء ونواحيها إلى أن خرج عليه أولو أمير حمص من قبل الاخشيدية فقاتله
وأقره وشرده من كان اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب
وحبسه في السجن حبساً طويلاً فاعتل وكاد يتلف حتى سئل في أمره فاستتابه
وكتب عليه وثيقة أشهد عليه بها ببطلان ما ادعاه ورجوعه إلى الاسلام وأطلقه
ثم قال - وكان قد تلا على البوادي كلاماً ذكر أنه قرآن أنزل عليه وكانوا يحكون
له سوراً كثيرة نسخت سورة منها ضاعت و بقي أولها في حفظي وهي (والنجم
السيار الخ -) انتهى كلام الخطيب . وإني لترى منه أن الخطيب لم يتعرض لذكر
اللاذقية والوحي والمعجزات

وإذا تأملنا في رواية الخطيب عن ابن أم شيبان نجدها أبانت لنا شيئاً كبيراً
من الحقيقة وهي أن المتنبى ادعى أنه علوي فقبض عليه وحبس لهذه الدعوة لما فيها
من القيام على الدولة وإحداث الثورة .

أما روايته عن ابن أبي حامد التي سمعها الراوي عن أناس يحكون في حلب فهي
من اختلاق العامة يعلمون بها سبب حبس المتنبى وقد وصلت إلى الخطيب بعد

المتنبي بنحو ١٠٠ سنة فأصابها ما أصابها من الزيادة بطبيعة الحال كما أصاب
الرواية الأولى من ذكر ادعاء النبوة وهي لم تعزز بشيء بخلاف الرواية الأولى
فقد أيدها الثعالبي وهو أقرب المؤرخين من المتنبي كما سترى .
وعما يدعو إلى الريبة في هذه الرواية ان الخطيب والبديعي كلاهما يقول عن
راويته انه لم يبق في حفظه من قرآن المتنبي إلا الجملة التي أولها (والنجم السيار الخ)
فكأن مخترع هذه الرواية وضعها بهذا الشكل ليجعل لها قيمة عند السماع فنقلها
على علاقتها ونسبها كل منهما إلى راويته .

أما ابن خلكان فقد اختار جزءاً من رواية الخطيب الثانية ولا أدري
كيف وثق بها مع انه قال في آخرها (وقيل غير ذلك وهذا أصح) فحكم بصحتها
بلا بحث ثم أتبعها بقوله (وقيل انه قال أنا أول من تنبأ بالشعر) ولو تأني قليلاً
لأدرك أن هذه الجملة تدعو إلى الشك في صحة الرواية التي اختارها

بقي علينا أن نبحث في أقرب الكتب لحياة المتنبي وهو كتاب (يتيمة الدهر)
للعلامة الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ فانه ألف كتابه والألسنة لا تزال رطبة بذكر
المتنبي . فقال في الجزء الأول في الصفحة ٧٩ في ترجمة المتنبي ما نصه
ذكر ابتداء أمره

ذكرت الرواية أنه ولد بالكوفة في كندة سنة ٣٠٣ هـ وأن أباه سافر به إلى
بلاد الشام فلم يزل ينقله من باديتها إلى حضرها ومن مدرها إلى وبرها ويسلمه
من المكاتب ويردده في القبائل ومخايله نواطق الحسنى عنه وضوا من النجاح فيه
حتى توفي أبوه وقد ترعرع أبو الطيب وبرع .

و بلغ من كبر نفسه و بعد همته أنه دعا إلى بيعته قوماً من رائيته نبهه على
الخدائثة من سنه والغضاضة من عوده وحين كاد يتم له أمر دعوته تأدى خبره
إلى والى البلدة ورفع إليه ما همم به من الخروج فأمر بحبسها وتقييده وهو القائل
في الحبس قصيدته التي أولها

أيا خدد الله ورد الخدود * وقد قدود الحسان القدود
ثم ذكر أمر نبوته فقال : (ويحكى أنه تنبأ في صباه وفتن شزيمة بقوة أدبه
وحسن كلامه) ولم يزد الثعالبي في ذكر نبوة المتنبي على هذه الكلمات ولم يذكر
وحيماً ولا قرآناً مما يدل على انه لم يسمع عن المتنبي شيئاً من ذلك أو سمعه ممن
لا يوثق به فأهمله لانعدام سنده

هذا هو الوصف الحق لدعوة المتنبي وهو أنه كان يدعو الناس للقيام على الدولة فلما علم به الوالي حبسه قبل أن يستفحل أمره . وقد أيد الثعالبي ذلك بقوله بعد هذا — وما زال في برد صباه إلى أن أخلق برد شبابه وتضاعفت عقود عمره يدور حب الولاية والرياسة في رأسه ويظهر ما يضمهر من كامن وسواسه في الخروج على السلطان والاستظهار بالشجعان والاستيلاء على بعض الأطراف ويكثر من التصريح بذلك في مثل قوله — وهنا أورد الثعالبي شيئاً من شعره الذي يتحفز به إلى الثورة (وقد ذكرت ذلك مفصلاً في بحث حياة المتنبي بين الأمل والأمل في مقدمة هذا الكتاب فراجعه)

فمن هذا يتضح لنا جلياً أن المتنبي لم يدع النبوة قط وإنما كان يطمع في الخروج على السلطان مدعياً أنه علوي من أهل البيت ومن أجل ذلك قبض عليه وحبس — وتكون رواية ابن خلكان ورواية الخطيب عن ابن أبي حامد وجميع ما قاله البديعي لا أصل له . ومن نقل عنهم فقد نقل الخطأ المحض

أما سبب تلقيبه بالمتنبي فهو كما قال الثعالبي واعتمده العكبري والواحدى والمعري في شروحاتهم لديوانه وهو القول الذي سمعه ابن جني من المتنبي نفسه قال الثعالبي : وحكى أبو الفتح ابن جني قال سمعت أبا الطيب يقول : لقبت بالمتنبي لقولي

أنا ترَبُّ الندى ورب القوافي * وسام العدى وغيظ الحسود

أنا في أمة تداركها الله * غريب كصالح في ثمود

هذا هو السبب الصحيح الذي يجب أن يذكر في ترجمة المتنبي عند ذكر

السبب في لقبه

ومما يدهش من تصرفات البديعي أنه ذكر هذه العبارة منقولة عن يتيمة الدهر وهي فصل الخطاب في هذا الموضوع فتجاوزها وأباح لنفسه أن يتوسع إلى أبعد حد بلا حجة ولا تبصر

(٢) السبب الصحيح في حبس المتنبي

أما سبب حبس المتنبي فقد مر في أقوال الثعالبي ونؤيده هنا بما جاء في أقوال شراح ديوان المتنبي فان قصيدته التي قالها في الحبس تشرح لنا بصريح العبارة سبب اعتقاله وحبسه ومن أي شيء استتيب .

ونبدأ بما قاله البديعي في هذا الموضوع لنثبت ما بقي من خطائه فيه .

قال في الصفحة رقم ٢٨ : ولما اشتهر أمره وشاع ذكره وخرج بأرض سلمية

من عمل حمص في بني عدى قبض عليه ابن علي الهاشمي — ثم قال ولما صار معتقلا في الحبس كتب إلى الوالي

بيدي أيها الأمير الأريب * لا لشيء سوى لأنني غريب
أو لأمّ لها إذا ذكرتني * دم قلب بدمع عين يذوب
إن أكنّ قبل أن رأيتك أخطأ * ت فاني على يدك أتوب
عائب عابني لديك ومنه * خلقت في ذوى العيوب العيوب

ثم قال وكتب إليه من السجن قصيدة يستعطفه بها أولها
أيا خدد الله ورد الحدود

فانظر كيف اضطرب البديعي وخالف المؤرخين في مكان القيام بالدعوة
وفى اسم الأمير الذي حبسه . ولو أنه تأمل قول المتنبي (عائب عابني لديك)
لأدرك أنه ينفي عن نفسه وشاية جاء بها كاذب وأين هذا الاعتذار من قول
معتذر يبريء نفسه من ادعاء النبوة التي عمّت بلاد الشام وقوتل من أجلها وأسر
لو أن ذلك وقع . وقال العلامة الواحدى فى مقدمة شرح هذه القصيدة مانصه .
وكان قوم فى صباه قد وشوا به فيما يقال إلى السلطان وتكذبوا عليه وقالوا قد
انقاد له خلق كثير من العرب وقد عزم على أخذ بلدك حتى أوحشوه منه فاعتقله
وضيق عليه فكتب إليه وهو فى السجن يمدحه ويرأى إليه مما رعى به

(أيا خدد الله ورد الحدود) الخ — ثم قال الواحدى فى شرح قوله

تعجل فى وجوب الحدود * وحدى قبيل وجوب السجود

إنما تجب الحدود على البالغ وأنا صبي لم تجب على الصلاة فكيف الحد —
وليس يريد فى الحقيقة أنه صبي غير بالغ وإنما يصغر أمر نفسه عند الوالى
ألا ترى أن من كان صبياً لا يظن به اجتماع الناس إليه للشقاق والخلاف —
ثم قال الواحدى : هذا كلام ابن جنى وقال بعدها : قال ابن فورجة ما أراد
أبو الطيب إلا الذى منع أبو الفتح (أى ابن جنى) يريد انى صبي لم أبلغ الحلم
فيجب على السجود فكيف يجب على الحد — والقول ما قاله أبو الفتح . أى ان
الواحدى أخذ بقول ابن جنى وهو خطأ لان المتنبي الذى خلق كبير النفس بأبى
أن يضع نفسه موضع السخرية ويدعى انه صبي بل الحقيقة انه قال الشعر صبياً
وزعم أنه علوى وهو حدث دون البلوغ ولهذا لم يتم له الأمر ولو ادعى ذلك
وهو شاب لأحرز بعض النجاح

وقال المعري في شرح هذا البيت قال ابن جنى لم يكن صغيراً لكنه صغر نفسه عند الأمير والظاهر يخالف ذلك ويدل على أنه كان صغيراً (انتهى)
وقد أوردت هذه العبارات لأثبت أن قيام المتنبي للخروج كان في حدائته قبل أن يبلغ الحلم وقبل أن يتصل بالأمراء وينظم فيهم مدائحهم استجلاباً لرؤسهم فلما اشتغل بالمدح كتم غرضه في نفسه حتى لحق بكافور فرجاه منه فخيبه كما هو معلوم .
أما دخول المتنبي اللاذقية الذي زعم البديعي أنه كان في سنة ٣٢٠ فقد كان في الحقيقة سنة ٣٢٣ حيث كان عمر المتنبي عشرين سنة ودخلها مادحاً لأمرائها التنوخيين ودلنا على ذلك ماجاء في شعره الذي هو أصدق الوثائق عنه

قال : يمدح الحسين بن اسحق التنوخي (وقد ذكر اللاذقية في شعره)

لك الخير غيرى رام من غيرك الغنى * وغيرى بغير اللاذقية لاحق
هي الغرض الأقصى ورؤيتك المنى * ومزلك الدنيا وأنت الخلائق

وقال فيه متنصلاً من وشاية (وفيها يذكر أنه ابن عشرين سنة)

أأنطق فيك هجراً بعد علمي * بأنك خير من تحت السماء
وما أربت على العشرين سني * فكيف مللت من طول البقاء

وهذا يكفي تكذيباً للبديعي — وقد ورد في قصيدة الاعتذار التي أرسلها إلى الوالي من السجن ما يدل على أنه قبض عليه لمجرد الوشاية ولم يكن حوله أحد من الناس .

وقيل عدوت على العالمين * بين ولادى وبين القعود
فمالك تقبل زور الكلام * وقدر الشهادة قدر الشهود
فلا تسمعن من الكاشحين * ولا تعبان بعجل اليهود
وكن فارقاً بين دعوى أردت * ودعوى فعلت بشأو بعيد

أى نسبوا لى الاساعة إلى الناس من وقت أن كنت فى المهدي فلا تقبل شهادتهم لأنهم كذابون ويقولون بأنى (أردت) لكذبهم ولو صدقوا لقالوا (فعلت) — هذا ولو كان الأمير خرج إليه وقاتله كما يقول المؤرخون لكان اعتذاره مبنياً على التوبة والاستغفار

وهنا نورد ما جاء فى كتاب الوسيط الذى أشرنا إليه فى صدر هذه الكلمة فقد جاء فى الطبعة السادسة المؤرخة ١٩٢٧ صفحة ٢٧٢ فى ترجمة المتنبي ما نصه (ورأى أبو الطيب أن استنمام علمه باللغة والشعر لا يكون إلا بالمعيشة فى البادية نخرج إلى بادية بنى كلب وهو بعد فتى لا يزيد عمره على عشرين سنة فأقام بينهم

مدة ينشد هم من شعره ويأخذ عنهم اللغة إذ كانت لا تزال صحيحة في البادية حتى أحاط بغريبها وحوشيتها فاعظم شأنه بينهم وكانت الأعراب الضاربون بمشارف الشام شديدي الشغب على ولايتها فوشى بعضهم إلى لؤلؤ أمير حمص من قبل الاخشيديّة بأن أبا الطيب ادعى النبوة في بني كلب وتبعه منهم خلق كثير ويخشى على ملك الشام منه فخرج لؤلؤ إلى بني كلب وحاربهم وقبض على المتنبي وسجنه طويلاً ثم استتابه وأطلقه (اهـ)

وأنت ترى أن مؤلفي الوسيط داخلهما الشك في صحة ادعاء المتنبي النبوة ولكن لم يفحصا المراجع للوصول إلى الحقيقة فجعلوها نسبت إليه عن طريق الوشاية فخالفوا بذلك جميع المؤرخين الذين قالوا ادعاها فعلاً . وقد خالفوا الواقع أيضاً من جملة وجوه أولاً انهم جعلوا دخول المتنبي البادية وهو في سن العشرين والحقيقة أنه دخلها في حدائته مع أبيه كما قال الثعالبي ولما كان في سن العشرين كان يمدح الأمراء التتوخيين في اللاذقية كما مر . ثانياً انهم وافقوا من قال بأن الأمير لؤلؤ حارب المتنبي على الوشاية بدعوى النبوة — والحقيقة أن الوشاية كانت لادعاء العلوية وتخفزه للخروج كما قال الخطيب والثعالبي . ثالثاً زعموا أن بني كلب حاربوا لؤلؤاً مع المتنبي والحقيقة أن بني كلب كانوا يكرهون المتنبي ويسئنون إليه ولم ينصروه في شيء بل أساءوا جوارره وهم الذين عناهم بقوله

مامقامي بأرض نخلة إلا * ك مقام المسيح بين اليهود
أنا في أمة تداركها إلا * غريب كصالح في ثمود

فشبههم باليهود وثمود وشبه نفسه بالمسيح وصالح . عليها السلام فقال الناس (قد تنبأ في بني كلب) لأن نخلة من ديارهم فعلق به اللقب وليس بدعاً أن يلقب بالمتنبي للسبب الذي قاله ابن جني فقد وقع مثل هذا لكثير من الشعراء فكم شاعر لقب لكلمة قالها أو كلمة قيات فيه وقد لقب عبد الله بن رثبة بالعجاج لقوله

حتى يعرج عندها من عجمجا

ولقب محصن بن ثعلبة بالثقب لقوله

رددن تحية وكنن أخرى * وثقبن الوصاوص للعيون

ولقب شاس بن نهار بالممزق لقوله

فان كنت ما كولا فكن أنت آكلي * وإلا فأدركني ولما مزق

ونقلوا ان ابن خالوية سخر من المتنبي في مجلس سيف الدولة لرضائه بهذا اللقب فقال لست ارضى بهذا وإنما يدعوني به من يريد الغرض منى ولست أقدر على المنع ، وأنت تعلم أن ابن خالوية هذا هو عدو المتنبي اللدود وسبب هجره سيف الدولة فلو كان يعلم أن المتنبي ادعى في حدائمه النبوة لكانت سخريته من سخره لا من رضائه باللقب

فمن هذا ترى ان أبا الطيب لقب بالمتنبي ولم يكن ادعى النبوة وحبس لاثامه بالقيام على الدولة ولم يحبس لادعائه النبوة والله أعلم

انتهت الطبعة الثانية بحمد الله وحسن توفيقه بتاريخ ١٧ جمادى الأولى

سنة ١٣٥٢ — ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٣٤

أحمد سعيد البخاري

فهرست الكتاب

صحيفة	صحيفة
٥٧ سبب قتل المتنبي	٢ خطبة الكتاب
٦٠ خطبة الأمثال	٥ تمهيد
٦٢ أمثال المتنبي	٦ بؤس المتنبي وأسبابه
٩٥ قطع مختارة من شعر المتنبي	٩ كراهة المتنبي للناس
٩٥ الغزل	١١ كبرياؤه ونفخه بنفسه
١٠٩ المدح	١٣ فخشه في الهجاء
١١٣ الرثاء	١٥ ذمه من يمدحهم عند مدح غيرهم
١١٦ ضروب شتى من شعر المتنبي	٢٤ طور سعته
١٢٠ نبوة المتنبي	٢٨ طور رجائه
١٢٠ اتهام المتنبي بادعاء النبوة	٣١ كيف شك كافر في اخلاص المتنبي
١٢٥ السبب الصحيح في حبس المتنبي	٣٧ هل كان المتنبي أهلا للإمارة ؟
تمت الفهرست	٤٩ طور يأسه

يطلب هذا الكتاب من مكتبة أمين الخانجي بشارع عبد العزيز بمصر ومكتبة الهلال بشارع الفجالة بمصر ومكتبة أحمد افندي نجيب الرافي بشارع الأزهر بمصر ويطلب من مؤلفه بعطفة المسطاحي نمرة ١٦ باب الشعرية بمصر ومن جميع المكاتب الشهيرة